ابن تيمية مفسراً

ومقدمته في أصول التفسير

عرض ودراسة

سامي "محمد هشام" حريز

ماجستير أصول الدين / التفسير وعلوم القرآن

الجامعة الأردنية



ابن تيمية مفسراً
ومقدمته في أصول التفسير
" عرض ودراسة "

تأليف
سامي « محمد هشام » حريز

الطبعة الأولى
2010 م /1431 هـ



دار البداية ناشرون وموزعون

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2009/7/3250)

222.1

حريز: سامي "محمد هشام"

ابن تيمية مفسراً ومقدمته في أصول التفسير: عرض ودراسة / سامي "محمد هشام" حريز- عمان : دار البداية ، 2006..

(153) ص

ر.أ: (2009/7/3250).

الواصفات: /تفاسير القرآن// المفسرون// أصول الفقه/ / الحديث// الأحكام الشرعية/.

* اعدادات دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا التصنيف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

الطبعة الأولى

2010 م /1431 هـ



دار البداية ناشرون وموزعون

الأردن - عمان – شارع الملك حسين – مجمع الفحيص التجاري

هاتف: 4640679 – تلفاكس: 0096264640597

ص. ب : 510336 عمان 11151 الأردن

مختصون بإنتاج الكتاب الجامعي

إهــــــداء

إلى طلاب علم الشريعة الإسلامية عامة ...

وإلى طلاب علم التفسير وعلوم القرآن خاصة ...

أُهدي كتابي هذا

سامي

مقدمـــة ...

الحمد الـلـه الذي أنزل كتابه المبين، هداية للعالمين، ونوراً للمؤمنين، ومحجّة للسالكين، وحجّة على خلق الـلـه أجمعين ....صلوات ربي وسلامه وبركاته على عبده المجتبى ورسوله المصطفى، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

أمّا بعد:-

فإنّ علم التفسير هو أشرف العلوم وأعلاها، وهو غايتها ومنتهاها، والمتعمق فيه حاصل على أجلى الغايات وأوفاها، فهو بحث عن كنوز القرآن الكريم الذي هو دستور الأمة، ومنهج حياتها، وبه تتحقق أهدافها وغاياتها .

ولذلك فحريٌّ بطالب العلم أن يشغل أوقاته بما يعود عليه من الأجر والمثوبة من الـلـه تعالى أولاً، والفائدة العلمية ثانياً، بالتفكر والتدبر في آيات كتاب الـلـه عز وجل، فالقرآن الكريم هو كنز المعارف ونور العقول .

ومن هذا الباب: عزمت في هذا الكتاب أن أتجه إلى عرض ودراسة وتحليل إحدى الكتب التي عنت ببيان القواعد والأصول التي ينبغي على المفسر الالتزام بها أثناء تفسيره لكتاب الـلـه عز وجل ؛ حتى لا يقع في الخطأ والزلل .

وقد وقع اختياري على " مقدمة في أصول التفسير " للإمام ابن تيمية. وما أقوم به في هذه الدراسة: هو عرض للأفكار الأساسية والبارزة التي ذكرها " ابن تيمية " في كتابه، ومن ثم دراسة هذه الأفكار وتحليلها، بما يفي بالغرض، مع ذكر الأمثلة التطبيقية .

والأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع بالذاّت، ما يلي :-

1. أهمية هذا الموضوع ؛ حيث أنه يتعلق بالأصل الأول من أصول الشريعة الإسلامية، وهو " القرآن الكريم " ويبين المنهج السديد في تفسير كتاب الـلـه تعالى .
2. أهمية هذه المقدمة ؛ حيث أنها تعتبر من أهم الكتب الزاخرة التي تفخر بها مكتبتنا الإسلامية العريقة ؛ ففي هذه المقدمة استطاع صاحبها أن يضع الأصول والقواعد العريضة التي كلما انضبط بها المفسر كلما زاد تفسيره ضبطاً واتقاناً وبُعُدَ عن الخطأ والزلل .
3. حُبيّ الشغوف لهذا الإمام الجليل ؛ فأردت أن أُبيّن الشيء اليسير في الجهد الكبير الذي بذله في التصنيف والتأليف، خدمة للعلوم الإسلامية عامّة، ولكتاب الـلـه تعالى خاصة .
4. قلّة المصادر التي عنت بدراسة وتحليل هذه المقدمة الأصيلة، فالدراسات الواردة فيها - مع كثرتها - تناولت جانب العرض والتلخيص والثناء عليها، إلا أننا لا نجد الاعتناء بالدراسة والتحليل لما كُتب فيها. فبرغم صغر حجم الكتاب إلا أنه جمع بين دفتيه كنوزاً مفيدة .
5. خدمة لطلاب علم الشريعة الإسلامية عامّة، وطلاب علم التفسير خاصة، حيث أنّ فهم هذه القواعد والأصول تُسهّل عليهم عملية تفسير آيات الـلـه تعالى وتجعل تفسيرهم مُتقناً بقدر ضبطها واستيعابها، وعلى هذا: يكون انطلاقهم انطلاقاً مبنياً على أساس سليم ومتين.

وحسب اطلاعي المتواضع: فإنّ هناك دراسات عديدة حول الإمام " ابن تيمية " تتناول جوانب حياته – وما كُتب فيها يكفي – أما المحور الأساسي وهو كتابه " مقدمة في أصول التفسير "، فقد كُتب حوله كتابات متفرقة في الكتب التي ألفّت في مناهج المفسرين والكتب التي عنت بقواعد التفسير وعلوم القرآن ... وغيرها. جّل هذه الدراسات كان عبارة عن عرض أو تلخيص لهذه المقدمة، ومنهم من اكتفى ببيان أهمية هذه المقدمة والأثر الذي أحدثته .

وهناك من الدراسات من تناول أصل هذه المقدمة " المخطوط " وقام بتحقيقه، ومن أبرزهم: د. عدنان زرزور " المدرس بكلية الشريعة في دمشق "، قام بجهد طيب يشكر عليه في تحقيقه، وقد قدّم لتحقيقه بمقدمات استفدت منها في كتابي هذا، إلا أنّ تحقيقه يبقى محدوداً، وينقصه شيئاً من الأمثلة والتعليقات الهامّة .

وكذلك تحقيق: الأستاذ محمود نصاّر، ولكن الملاحظ في تحقيقه أنه أطنب وبسط القول في ذكر المقدمات، وأنّ تحقيقه كان مجملاً ينقصه شيئاً من التعمق، يغلب عليه طابع العرض .

ولذلك جاءت هذه الدراسة " عرضاً ودراسةً وتحليلاً " في بحث مستقل، ومنهجية البحث في هذه الدراسة :-

تقوم على المنهج الاستقرائي، وهذا يتطلب جمعاً للمادة العلمية التي ستخضع للدراسة وتحليلها ثم استخلاص النتائج والأحكام ...

وبالتالي: سيتم التركيز على جانبين :-

1. الجانب النظري: وهو سرد المعلومات [العرض].
2. الجانب التطبيقي: وهو تسجيل الأمثلة والتحليل بعد الدراسة .

فأول ما أبدأ - بإذن الله - أضع العنوان البارز للأفكار، ومن ثم أعرض للأفكار البارزة التي ذكرها الإمام ابن تيمية - **وليس جميعها لعدم اتساع المقام** - وإنما البارز الذي يندرج تحته غيره، وأقوم بالدراسة: وهو بيان وتوضيح الفكرة لفهمها، ومن ثم التحليل: وهو بيان خصائص هذه الأفكار والمفاهيم بمجموعها، وبيان المآخذ إن وُجد .

واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع ومحدوديّته، تقسيمه إلى فصلين، وهما :-

الفصل الأول: الإمام ابن تيمية المفسر .

ويندرج تحته ثلاثة مباحث، ولكل مبحث عدّة مطالب .

والفصل الثاني: مقدمة الإمام ابن تيمية في أصول التفسير .

ويندرج تحته ثمانية مباحث، ولكل مبحث عدّة مطالب .

وفي نهاية المطاف: أسجل إجمالاً عن الإمام ابن تيمية المفسر ومقدمته في سطور .

واتبع ذلك تسجيلاً للخاتمة: التي أُبيّن فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الكتاب .

وقد بيّنت " خطة الكتاب" مفصّلة بعد تدويني لهذه المقدمة، للقارئ الكريم أن يتمعّن بمفرداتها .

وسيتم - بإذن اللـه تعالى - عزو جميع ما يكتب إلى مصدره الأصلي، وأيضاً سيتم اعطاء تعريف موجز عن بعض الأعلام والعلماء .

وكذلك سيتم اختصار العبارة مع الوفاء بالمعنى قدر الإمكان .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لك وحدك، لاحظ فيه لسواك، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد اللـه ربّ العالمين .

والسلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته .

المؤلف

سامي محمد هشام حريز

2005/1/12 م .

خُطة الكتاب ...

الفصل الأول: الإمام ابن تيمية المفسر

المبحث الأول: حياة وعصر وآثار ابن تيمية :-

المطلب الأول / نبذة عن حياته .

المطلب الثاني / نبذة عن عصره .

المطلب الثالث / نبذة عن آثاره .

المبحث الثاني: شيوخ وتلاميذ ابن تيمية، ومنهجه في التفسير :-

المطلب الأول / شيوخه وتلاميذه .

المطلب الثاني / منهجه في التفسير .

المبحث الثالث: نماذج من تفسير ابن تيمية لآيات من القرآن الكريم : -

المطلب الأول / تفسيره لقوله تعالى ﴿**وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾ ...

المطلب الثاني / تفسيره لقوله تعالى ﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا**﴾ ...

المطلب الثالث / تفسيره لقوله تعالى ﴿**إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر**﴾.

المطلب الرابع/ تفسيره لقوله تعالى ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه**﴾ ...

المطلب الخامس / تفسيره لمعنى اسمه تعالى " القيوم "، ومعنى " الحنيف " الواردان في كثير من الآيات القرآنية .

الفصل الثاني: مقدمة الإمام ابن تيمية في أصول التفسير.

المبحث الأول: بين يدي (مقدمة في أصول التفسير) : -

المطلب الأول / الأصل المخطوط والطبعات السابقة .

المطلب الثاني / الموضوعات والفصول التي تكشف عنها هذه المقدمة .

المطلب الثالث / مدى أهمية هذه المقدمة والأثر الذي تركته .

المبحث الثاني: استهلال ابن تيمية في مقدمته : -

المطلب الأول / السبب الذي دعاه لكتابة هذه المقدمة .

المطلب الثاني /بيانه لأنواع العلم المنقول، وبيان الحاجة الماسة لفهم القرآن .

المطلب الثالث / الآيات القرآنية التي ساقها، وبيان عدم اعتماده في وضع هذه المقدمة على أحد .

المبحث الثالث: القسم الأول من الكتاب : -

" في أنّ النبي صلي الـلـه عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن " .

المطلب الأول / الأدلة التي ساقها الإمام ابن تيمية في هذا الشأن، ومناقشتها .

المطلب الثاني / الرأي الراجح في هذه المسألة .

المبحث الرابع / القسم الثاني من الكتاب : -

المطلب الأول / أصناف اختلاف السلف " رحمهم الـلـه ".

المطلب الثاني / سبب النزول وأثره في فهم الآية .

المبحث الخامس: القسم الثالث من الكتاب : -

" في نوعي الاختلاف في التفسير ".

المطلب الأول /الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل، وما يندرج تحته:-

المطلب الثاني / الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال، وما يندرج تحته.

المبحث السادس: القسم الرابع من الكتاب : -

" في أحسن طرق التفسير ".

المطلب الأول / تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الثاني / تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث/ تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وبيان منزلة ابن عباس وابن مسعود في التفسير.

المطلب الرابع / أحسن الطرق في حكاية الخلاف .

المبحث السابع: القسم الخامس من الكتاب : -

" في تفسير القرآن بأقوال التابعين ".

المطلب الأول / أهمية الرجوع إلى أقوال التابعين في التفسير، وبيان منزلة مجاهد في تفسير القرآن .

المطلب الثاني / أعلام المفسرين من التابعين .

المطلب الثالث / متى تكون أقوال التابعين حُجّة في التفسير .

المبحث الثامن: " تفسير القرآن بالرأي ".

المطلب الأول / القول في التفسير بالرأي .

المطلب الثاني / موقف العلماء من التفسير بالرأي .

المطلب الثالث / الصحابة وغيرهم ينهون عن التفسير بغير علم .

مقدمة ابن تيمية في سطور ...

الفصل الأول

الإمام ابن تيمية المفسر

المبحث الأول: حياة وعصر وآثار ابن تيمية :-

المطلب الأول / نبذة عن حياته .

المطلب الثاني / نبذة عن عصره .

المطلب الثالث / نبذة عن آثاره .

المطلب الأول / نبذة عن حياته :-

أولاً: اسمه ونسبه ومولده :-

- هو الإمام تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد اللـه بن محمد أبي القاسم، بن الخضر، بن محمد بن الخضر، بن علي بن عبد اللـه ابن تيمية الحرّاني، ثم الدمشقي الحنبلي. وكنيته: أبو العباس .

  و" تيمية ": لقب لجده الأعلى، ثم أصبحت علماً للحفيد " رحمه اللـه تعالى" .

- وُلد يوم الاثنين، العاشر من شهر ربيع الأول بـ " حرّان "[1]، سنة 661هـ.

ثانياً: نشأته وطلبه للعلم ووفاته :-

نشأ الإمام " ابن تيمية " في بيت علم وفقه ودين، فأبواه وأجداده واخوانه وكثير من أعمامه كانوا من العلماء والمشاهير .

وعاش ابن تيمية مع والديه بحران إلى أن بلغ عمره سبع سنوات تقريباً، عندها اضطر إلى الهجرة مع والديه إلى دمشق بعد أن زحف التتار إلى " حرّان ".

وقد تربى ابن تيمية بين أبيه " عبد الحليم " وجده " عبد السلام "، فأبوه: محقق جليل، كثير الفنون، وله يد طولى في الفرائض والحساب والوعظ والإرشاد. وجده: كان إماماً حجّة بارعاً في الفقه والحديث والتفسير، وله معرفة تامة في الأصول، لذا فنشأة ابن تيمية علمية منذ الصغر، حيث بدأ تحصيله وطلبه للعلم منذ نعومة أظافره، فحفظ القرآن وهو صغير ودرس

---

(1) حرّان: بلدة قديمة كانت موطن الصابئة، وتقع شمالي شرق تركيا، وهي الآن بلدة عامرة بعد الخراب الذي أصابها عند احتلال التتار لها أيام رحيل آل تيمية وغيرهم عنها. انظر هامش كتاب الحافظ عمر البزّار: الأعلام العليّة في مناقّب ابن تيمية. تحقيق: زهير الشاويش. ص16.

الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعُرِف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره.

وقد تعرض الإمام ابن تيمية إلى الأذى والمحن خلال فترة حياته، وما ذلك إلا لمحاربته البدع والخرافات التي كان يسلكها المتصوفة، ومحاربته الفرق المخالفة لطريق السلف الصالح، واختياره بعض الآراء والأفكار التي تخالف ما عليه جمهور الناس في عصره، ولقد أوذي وسُجن عدّة مرات .

وأقام بمصر يُلقي الدورس، يجتمع عنده الناس للاستفادة من علمه، ثم توجه إلى دمشق واستقر فيها، وأخذ ينشر العلم ويصنف الكتب ويُفتي الناس.

هذا وقد توفي " رحمه الـلـه " وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق، ليلة الاثنين، في العشرين من شهر ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائه (728) هجرياً [1] .

ثالثاً: من أو قوال العلماء فيه، نذكر ثلاثة أقوال [2] :-

1- قال فيه الحافظ الذهبي: " وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا و الـلـه هو ما رأى مثل نفسه في العلم ".

---

(1) انظر مصادر الترجمة :-

- الحافظ عمر البزاّر: الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية. تحقيق: زهير الشاويش. ص16.
- الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية. ج (14)، ص 135 - 139 .
- الحافظ شمس الدين الداوودي: طبقات المفسرين. ص45.

(2) انظر كتاب ناصر الدين الدمشقي: الرد الوافر على من زعم بأنّ من سمّى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر. تحقيق: زهير الشاويش. ص57، ص105، ص 114.

2-وقال فيه الحافظ الزملكاني: " كان إذا سئل عن فن من العلم ظنّ الرائي والسامع أنّه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ".

3- وقال فيه شيخ النحاة أبو حيّان لما اجتمع به :" ما رأت عيناي مثل ابن تيمية ".

المطلب الثاني / نبذة عن عصره [1] :-

*** الحالة السياسية :-**

عاش الإمام ابن تيمية فيما بين أوائل النصف الثاني من القران السابع الهجري (661هـ) وبداية الربع الثاني من القرن الثامن الهجري (728هـ) .

واتسم هذا العصر بالاضطراب، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، فبالإضافة إلى الحملات الصليبية التي اجتاحت العالم الإسلامي وأدت إلى اضطرابه وتفككه ؛ كانت هناك بلية أخرى ابتلي بها العالم الإسلامي وهي " غزو التتار "، وكان بدء خروجهم وهجومهم على المسلمين بقيادة " جنكيز خان " التتري، حيث خرجوا من بلاد الصين، وعبر نهر جيحون في سنة عشر وستمائة للهجرة، وهي السنة التي اجتاح فيها الصليبيون " دمياط".

لقد كان للإمام ابن تيمية مشاركات في حرب هؤلاء التتار، الذين اضطروا أسرته إلى الهجرة من وطنها في (حران) إلى دمشق، فكان يعقد المجالس في المسجد لحض الناس على الجهاد وبذل النفقة في سبيل الـلـه تعالى .

وقد خاض بعض الغزوات وباشر القتال بنفسه، وكان يقوي من معه من المسلمين بتشجيعهم وتبشيرهم بالنصر، ومن هذه الغزوات التي خاضها: وقعة " شقحب " .

وهكذا نجد أن حياة المسلمين السياسية في ذلك العصر كانت مليئة بالمصائب والشدائد الجسام.

(1) هذا المطلب تّم تلخيصه واختصاره مع شيء من التصرف من كتاب: تفسير آيات أشْكَلت على كثير من العلماء لابن تيمية. دراسة وتحقيق: عبد العزيز الخليفة. (المجلد الأول) .

- **الحالة الاجتماعية :-**

لقد كانت الحالة الاجتماعية في عصر ابن تيمية غير مستقرة، فالغارات الصليبية والتترية على العالم الإسلامي أدّت إلى اضطراب الأمن، وبث الفزع والرعب في قلوب الناس. أضف إلى ذلك: تنازع أمراء المسلمين فيما بينهم، وبالجملة فقد كانت حياة المسلمين الاجتماعية في ذلك العصر فاسدة، تحتاج إلى إصلاح يعيد الأمور إلى نصابها .

ولقد بذل الإمام ابن تيمية قصارى جهده، في سبيل إصلاح هذه الحالة السيئة التي يعيشها المجتمع في عصره، مستمداً منهجه الإصلاحي من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

- **الحالة العلمية :-**

شهد العصر الذي عاش فيه ابن تيمية نهضة علمية كبيرة – رغم ما أحاط به من أحداث ومصائب – فقد وُجِد في أواسط القرن السابع الهجري، وأوائل القرن الثامن علماء لهم مكانتهم العلمية والدينية، وأصبحوا مرجعاً لمن أتى بعدهم بما ألفوه من كتب في مختلف الفنون، مثل: أبي الحجاج المزّي [1]، ومحيي الدين النووي [2]، وابن دقيق العيد [3]، ومع وجود هؤلاء

(1) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزّي، شيخ المحدثين، عمدة الحفاظ، أعجوبة الزمان. من مصنفاته: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ...، توفي سنة 742هـ.

(2) هو يحي بن شرف النووي المحدث، كبير الفقهاء في زمانه. من مؤلفاته: التبيان في آداب حملة القرآن، وشرح صحيح مسلم ....، توفي سنة 676هـ.

(3) هو محمد بن علي بن وهب بن دقيور العيد، برع في علم الحديث. من مؤلفاته: الإلمام في الحديث، وشرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني. توفي سنة 703هـ وقيل غير ذلك.

العلماء الأفذاذ فقد سيطر الجمود والتقليد على الحركة العلمية، فكان قصارى جهد العالم الاكتفاء بما ورد، أو ما وُجِد في مؤلفات السابقين دون بحث أو مناقشة .

ففي العقيدة: كان المذهب السائد هو " المذهب الأشعري " وكان منتشراً انتشاراً كبيراً بسبب أن السلطان " صلاح الدين الأيوبي " كان على المذهب الأشعري، وكان يلزم الناس به، وسار على نهجه ملوك بني أيوب، ثم مماليكهم الأتراك من بعد .

وفي الفروع الفقهية: كان التقليد المذهبي سائداً، ومن الصعب الخروج عنه، أو إبداء الرأي والاجتهاد فيما يخالف مذهباً من المذاهب الأربعة، وهي [الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي].

وفي مجال الدراسات القرآنية: برز في عصر ابن تيمية علماء لهم مكانتهم العلمية بما ألفوه في هذا المجال، فمن هؤلاء: أبو عبد الـلـه القرطبي [1]، وأبو حيّان الأندلسي [2] والسمين الحلبي [3] ، وابن كثير [4] ، وغيرهم .

---

(1) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري المالكي، أبو عبد الـلـه القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان " الجامع لأحكام القرآن " وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً. وله مصنفات عديدة في غير التفسير. توفي سنة 671هـ.

(2) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيّان الأندلسي الغرناطي، النحوي، اللُّغوي، المفسر، الأديب، ولد سنة 654هـ وتوفي سنة 754 هـ من مؤلفاته: (البحر المحيط) في التفسير، وكتاب " اتحاف الأديب بما في القرآن من الغريب ".

(3) هو أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي، المعروف بالسمين، المقرئ، النحوي، الشافعي، من مصنفاته :" تفسير القرآن "، " إعراب القرآن " سماّه " الدر المنثور "، و" أحكام القرآن "... توفي سنة 756 هـ.

(4) هو إسماعيل بن عمر بن كثير، أحد تلاميذ الإمام ابن تيمية، (ستأتي ترجمته عند الحديث عن تلاميذ ابن تيمية) إن شاء الـلـه تعالى.

وهكذا نشأ الإمام ابن تيمية في هذا الجو العلمي، فما كان له أثره على حياته العلمية، ونلحظ هذا من خلال كتبه ورسائله التي أجاد فيها وأفاد .

المطلب الثالث / نبذة عن آثاره :-

حرص الإمام ابن تيمية على طلب العلم منذ صغره، وقد آتاه اللـه سرعة في الحفظ وقوة في الفهم، ومنّ عليه بعقل متفتح وبخاطر فيّاض، وبقلم سيّال وبحبٍّ للكتابة والتأليف. وقد تنوعت علومه وفنونه حتى برع في كل فن، ولا سيما في المجالات الشرعية :[كالتفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة] وغيرها. وقد ذكر العلماء أن مصنفات الإمام ابن تيمية كثيرة جداً، ومن الصعوبة حصرها، وما زال المسلمون ينتفعون بالموجود منها وينهلون من معينها الصافي، وإنّ المكتبة الإسلامية العريقة تفخر بمؤلفاته ورسائله، ومن أهمها ما يلي [1] :-

1. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، طبع في مجلدين بتحقيق د. ناصر العقل، ونشرته شركة العبيكان للطباعة والنشر في الرياض .
2. الإيمان، طبع بالمكتب الإسلامي في بيروت .

(1) انظر حول هذا الموضوع :-

- محمد أبو زهرة: ابن تيمية - حياته وعصره، آراؤه وفقهه - .ص510 - ص522
- بكر بن عبد اللـه أبو زيد: المداخل إلى آثار شيخ الإسلام .[ص47- ص51]، [ص59- ص68]
- بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة. المنعقدة في 1و2 /1408/4هـ في الجامعة السلفية ببنارس " الهند ". إشراف: د. مقتدى الأزهري. وإعداد: د. عبد الرحمن الفربوائي. (انظر بحث: تعريف موجز عن شيخ الإسلام ابن تيمية ومآثره العلمية) . ص61 - ص73.
- ابن تيمية: تفسير آيات أشكلت. تحقيق / عبد العزيز محمد الخليفة. من ص62 إلى ص64.

3. التدمرية، طبع في مجلد واحد بتحقيق محمد السعودي، ونشرته شركة العبيكان في الرياض.
4. تفسير سورة الإخلاص" الصمد " طبع بتحقيق د. عبد العلي حامد بالدار السلفية في الهند، ط1، سنة 1406 هـ.
5. تفسير سورة النور، طبع بتحقيق د. عبد العلي حامد بالدار السلفية في الهند، ط1، سنة 1408 هـ.
6. تفسير المعوذتين " الفلق والناس "، وهو مطبوع.
7. درء تعارض العقل والنقل، طبع في أحد عشر مجلداً بتحقيق د. محمد رشاد سالم. ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
8. الرد على المنطقيين، طبع بدار المعرفة في بيروت، وصدر بمقدمة للعلامة سليمان الندوي .
9. العبودية، طبع بالمكتب الإسلامي في بيروت .
10. مقدمة في أصول التفسير، طبعت بتحقيق إبراهيم بن محمد، بدار الصحابة للتراث بطنطا، سنة 1409 هـ. وقام بتحقيقها أيضا د. عدنان زرزور. وهي التي أقوم بعرضها ودراستها في هذا الكتاب .
11. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، طبع في تسع مجلدات بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ونشرته مكتبة ابن تيمية في القاهرة .
12. تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير منها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ .

وقد تعرض ابن تيمية في هذا الكتاب إلى عدد من الآيات التي رأى أنها أشكلت على كثير من المفسرين، فأزال هذا الإشكال عن تلك الآيات ببيان بعض ما تهدف إليه، وبعض ما تدل عليه، وذلك بأسلوب علمي دقيق [1] .

13. وكذلك هناك من آثاره: فضائل القرآن، وأقسام القرآن، وأمثال القرآن، وكتاب الإيمان، والاستقامة، والفرقان، وكتاب تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، والجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح .

ومما ينبه عليه أن العلماء المتأخرين اهتموا برسائله وأقواله وفتاويه. وجمعوها في مؤلفات مستقلة، ومن أهمها ما يلي :-

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن يتمية .

جمعها عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وطبعت في سبعة وثلاثين مجلداً بإدارة المساحة العسكرية في القاهرة .

دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية .

جمعه وحققه د. محمد السيد الجليند، وطبع في ستة أجزاء بمؤسسة علوم القرآن في دمشق وبيروت، ط2، سنة 1404 هـ .

- التفسير الكبير .

جمعه وحققه د. عبد الرحمن عميرة، طبع في سبعة أجزاء بدار الكتب العلمية في بيروت، ط1، سنة 1408 هـ .

(1)تـمّ تحقيق هذا الكتاب من قبَِلِ الباحث: عبد العزيز محمد الخليفة، نال بتحقيقة درجة الماجسيتر في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض بتاريخ 1415/1/11هـ.

وكذلك من رسائله القيّمة: الحموية، والواسطية، والكيلانية، والبغدادية، والأزهرية، والإكليل، ورسالة مراتب الإرادة، ورسالة القضاء والقدر .

وقد اختصت كتب ابن تيمية ورسائله بصفات تجدها بارزة فيها، وأوضح تلك الخواص ما يلي :-

(1) وضع الألفاظ في مواضعها من حيث السبك العربي الجيد من غير أن يكون ذلك على حساب المعنى .

(2) فيضان الكتابة بالحيوية لارتباطها بالحياة، ونفسه التوّاقة إلى الإصلاح ؛ فيتلمس فيما يكتب واقع الناس .

(3) قوة الاستدلال والإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار السلفية، من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى كأنك تقرأ علم السلف قد نقله إليك .

(4) مخاطبة العقل دون الثقة به ثقة مطلقة، وعمق التأملات الفكرية عمقاً كبيراً. وتجده في محاربته للفلاسفة والمناطقة بأنه يلبس لباسهم ويجادلهم بمنهج فلسفي .

(5) النقد البناء ؛ وذلك بفحص كل ما يقرأ فحصاً سليماً، وإدراك محاسنه وعيوبه .

المبحث الثاني: شيوخ وتلاميذ ابن تيمية، ومنهجه في التفسير :-

المطلب الأول / شيوخه وتلاميذه .

المطلب الثاني / منهجه في التفسير .

المطلب الأول / شيوخه وتلاميذه :-

أولاً: شيوخ ابن تيمية :-

تلقّى الإمام ابن تيمية العلم من عدد كبير شيوخ عصره يفوق المائتي شيخ كما أشار إلى ذلك تلميذه ابن عبد الهادي.

ومن أبرز هؤلاء الشيوخ التالية أسماؤهم [1] :-

1. أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، أبو العباس، زين الدين، المولود سنة 575 هـ من شيوخ الحنابلة، توفي سنة 668 هـ وقد استفاد منه ابن تيمية في الحديث .
2. عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الجماعيلي الأصل، الصالحي، المولود سنة 597 هـ وتوفي سنة 682 هـ. وكان شيخاً لابن يتمية في الحديث والفقه والأصول .
3. شرف الدين أبو العباس، أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي الشافعي، المولود سنة 622 هـ برع في الفقه والأصول والعربية، وُلّي القضاء نيابة بدمشق، وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم ابن تيمية، وتوفي سنة 694هـ .

ثانياً: تلاميذ ابن تيمية :-

لقد كُثر تلاميذه كثرة فاقت غيره من علماء عصره، وما ذلك إلاّ لأمور منها :-

---

(1) اقتصرت هنا على ذكر ثلاثة منهم ؛ وذلك لضيق المقام، بينما ذكر محقق كتاب " تفسير آيات أشكلت ....": سبعة من الشيوخ، انظر ص47- ص48.

1. كثرة تنقلاته بين مصر والشام مما كان له أكبر الأثر في استفادة الكثيرين منه.
2. سعة علمه واطلاعه، وفصاحة بيانه .
3. إلقاؤه للدروس العلمية العامة والخاصة .
4. احترامه لتلاميذه .

وهؤلاء التلاميذ كانوا أنجماً متألقة في سماء الفكر والمعرفة والدعوة إلى الالتزام بشرع اللـه تعالى ...

وفيما يلي بعضاً من تلاميذه البارزين، أذكر منهم ستة [1] :-

1. ابن القيم الجوزية: وهو (شمس الدين أبو عبد اللـه) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي. الفقيه، الأصولي، المجتهد، المفسر، المتكلم، النحوي، المحدث. ولد سنة 691 هـ وتوفي سنة 751هـ وهو الذي دوّن مذهب شيخه في مؤلفاته ووضّح آراءه، ومهّدها للأجيال من بعده .

ومن تصانيفه الكثيرة: زاد المعاد في هدي خير العباد، ومفتاح دار السعادة، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والداء والدواء، واجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية، والتبيان في أقسام القرآن، وإعلام الموقعين .

(1) اقتصرت على ذكر التلميذ وسنة ولادته ووفاته، مع ذكر مُؤَلَّفٍ أو مُؤلّفين من مؤلفاته.
انظر كتاب إبراهيم خليل بركة: ابن تيمية وجهوده في التفسير. ص61- ص67.[بتصرف واختصار] .
وانظر كتاب: تفسير آيات أشكلت لابن تيمية: تحقيق / عبد العزيز الخليفة. ص50- ص52.

2. ابن قدامة المقدسي: وهو (شمس الدين أبو عبد اللـه) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن قدامة المقدسي الجماعيلي الأصل، الصالحي الحنبلي. مقرئ، فقيه، أصولي، نحوي، محدث، حافظ، مفسر، لُغوي، ولد سنة 705هـ وتوفي سنة 744 هـ .

ومن مصنفاته: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي، والعقود الدريّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، والصارم المنكي في الرد على السبكي .

3. الحافظ الذهبي: وهو (شمس الدين أبو عبد اللـه) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد اللـه التركماني الأصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي. الشافعي. مؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين، وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل. وُلد في دمشق سنة 673هـ وتوفي فيها سنة 748هـ.

ومن مؤلفاته: تاريخ الإسلام الكبير، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وسير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ .

4. الحافظ ابن كثير: وهو (عماد الدين أبو الفداء) إسماعيل بن الشيخ العالم الخطيب، أبي حفص عمر بن ضوء بن كثير بن ضوء القرشي، البصري، ثم الدمشقي، الشافعي.

وهو ثقة المحدثين، عمدة المؤرخين، عَلَمُ المفسرين. وُلد سنة 701هـ وتوفي سنة 774هـ. وله عدّة مصنفات منها: تفسير القرآن العظيم، والتاريخ الكبير المسمى بـ "البداية والنهاية "، وجامع المسانيد .

5. حمد بن مفلح بن محمد المقدسي، الراميني، الدمشقي. توفي سنة763هـ[1].

من مصنفاته: كتاب الفروع .

6. شرف الدين أبو العباس، أحمد بن الحسن بن عبد اللـه بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي، المشهود بـ" ابن قاضي الجبل ". وُلد سنة 693هـ وتوفي سنة 771هـ .

من مصنفاته: الفائق في فروع الفقه الحنبلي .

(1) لا أدري، كأن المحقق: " عبد العزيز الخلفية " في تحقيقه لكتاب " تفسير آيات أشكلت " سهى عن ذكر سنة الولادة، فولاده (ابن مُفلح): كانت في سنة 780هـ الموافق 1380م، وقد وُلد ونشأ في بيت المقدس، وتوفي بصالحية دمشق. وله " الآداب الشرعية الكبرى " مطبوع في ثلاثة مجلدات .

* انظر الأعلام: لخير الدين الزركلي. ج7، ص107.

المطلب الثاني / منهجه في التفسير :-

لقد ترك الإمام ابن تيمية أثراً واضحاً فيمن بعده في شتى العلوم التي بَرزَ فيها، وبخاصة في مجال الدراسات القرآنية، وأخص الأخص في مجال تفسير القرآن الكريم.

وأوضح شيء استفاد منه العلماء في هذا المجال هو تلك " المقدمة "؛ التي احتوت على بعض القواعد الهامة المتعلقة بأصول التفسير، والتي نحن بصدد التبحر في مضمونها واستنشاق ورودها ورياحينها – إن شاء اللـه تعالى – ، وعلى سبيل المثال – لا الحصر – فممن تأثروا بابن تيمية في مجال التفسير، أذكر اثنان من المتقدمين، واثنان من المتأخرين ، وهم :-

من المتقدمين: 1- ابن القيم [1] . 2- ابن كثير [2] .

ومن المتأخرين: 1- القاسمي [3]. 2- محمد رشيد رضا [4] .

وقد نهج الإمام ابن تيمية في عموم تفسيره لكتاب اللـه تعالى ما وضعه من قواعد وأصول للتفسير، ويمكن تلخيص هذا المنهج من خلال النقاط التالية [5] :-

---

(1) سبقت ترجمته في أثناء الحديث عن تلاميذ ابن تيمية .

(2) سبقت ترجمته في أثناء الحديث عن تلاميذ ابن تيمية .

(3) هو محمد جمال الدين محمد سعيد بن قاسم الحلاق، وُلد سنة 1283هـ وتوفي سنة 1332هـ. ومن مؤلفاته: تفسيره الكبير " محاسن التأويل " في سبعة عشر مجلداً.

(4) هو ابن علي رضا البغدادي الأصل. من مؤلفاته :" تفسير المنار " طُبع منه اثنا عشر مجلداً وعاجَلته المنيّة قبل تمامه، ومجلة المنار أصدَر منها (34) مجلداً. توفي سنة 135هـ.

(5) هذه النقاط استخلصها محقق كتاب: تفسير آيات أشكلت، حسبما اتضح له من خلال تحقيقه للكتاب، اقتصرت هنا على ذكر النقاط الرئيسة فقط، انظر ص105– ص120.

أولاً: تفسيره القرآن بالقرآن .

ثانياً: تفسيره القرآن بالسنة، ومنهجه في إيراد الأحاديث يتخلص في الآتي :–

1- أنه أحياناً يتكلم عن الأحاديث صحةً وضعفاً .

2- أنه أحياناً يورد بعض الأحاديث الضعيفة ويشير إلى ضعفها .

3- أنه أحياناً يذكر من خرّج الأحاديث من الأئمة، وأحياناً لا يذكر .

ثالثاً: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .

رابعاً: استدلاله باللغة العربية والشعر واحتجاجه بهما .

خامساً: نقله عن الأئمة والإشارة إلى ذلك .

سادساً: أمانته العلمية وتحريه الدقة في النقل .

سابعاً: اتباعه للدليل وعدم تعصبه للأقوال مهما كان قائلها .

ثامناً: استرساله وطول نفسه في العرض والتوضيح .

تاسعاً: إحالته إلى مؤلفاته .

عاشراً: استحضاره للأقوال والأدلة عند تفسيره لآيات [1] .

---

(1) هذه النقاط العشرة المسجلة ستتضح لنا جليّة وواضحة من خلال ذكر نماذج من تفسيره لآيات من القرآن الكريم من ناحية. ومن ناحية أخرى أثناء عرضنا ودارستنا لمقدمته في أصول التفسير.

المبحث الثالث: نماذج من تفسير ابن تيمية لآيات من القرآن الكريم [1] :-

المطلب الأول / تفسيره لقوله تعالى: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ ...

المطلب الثاني / تفسيره لقوله تعالى ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ﴾ ...

المطلب الثالث / تفسيره لقوله تعالى ﴿إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ...﴾

المطلب الرابع / تفسيره لقوله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه﴾ ...

المطلب الخامس / تفسيره لمعنى اسمه تعالى " القيوم "، ومعنى " الحنيف " الواردان في كثير من الآيات القرآنية .

---

(1) ثمّ انتقاء هذه النماذج من كتاب: تفسير آيات أَشْكلت على كثير من العلماء: للإمام أحمد بن تيمية. دراسة وتحقيق: عبد العزيز الخليفة، (المجلد الأول)، قمت بالتلخيص والاختصار وشيء من التصرف .

المطلب الأول / تفسيره لقوله تعالى ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾.

قال تعالى: **﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾**[1] .

في (أنها) : قراءتان، قراءة بنصب الألف، وقراءة بكسر الألف. وقراءة النصب هي التي أشكلت على كثير من أهل العربية، حتى قالوا إن " أنّ " بمعنى [لعلّ]، وإنما دخل عليهم الغلط ؛ لأنهم ظنوا أن قوله: **﴿نقلب أفئدتهم﴾** جملة مبتدأ يخبر الـلـه بها، وليس كذلك ؛ ولكنها داخلة في خبر " أنّ" ومتعلقة بـ " إذا "، والمعنى: وما يشعركم إذا جاءت أنهم لا يؤمنون، وأناّ نقلب أفئدتهم وأبصارهم بعد مجيئها كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون .

و"أن " هي "أن " المعروفة المصدرية. ولو كان قوله " ونقلب " كلاماً مبتدءاً للزم أن كل من جاءته لآية قلب الـلـه فؤاده وبصره، وليس كذلك، بل قد يؤمن كثير منهم، وكثير من الناس كفر ثم جاءته آيات فتاب الـلـه عليه فآمن، وإنما العقوبة لمن أصر، ولكن لا يجزم بإيمانه عند مجيء الآيات، بل قد يؤمن وقد لا يؤمن .

وقد ظن بعضهم أنه هنا تفخيم، ويجعلون قوله (ونقلب) معطوفاً على ذلك، وليس الأمر كذلك، بل هو باق على بابه، والمعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، ليس المعنى: ما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، فإنها جاءت في جواب " إذا"، و" إذا " فيها معنى الشرط .

(1) سورة الأنعام : [109، 110].

المطلب الثاني / تفسيره لقوله تعالى { قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا }....:-

قال تعالى: ﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودُنّ في ملّتنا قال أو لو كنّا كارهين. قد افترينا على اللـه كذباً إن عُدنا في ملّتِكم بعد إذ نجّانا اللـه منها وما يكونُ لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء اللـه ربُّنا وسع ربُّنا كل شيء علماً على اللـه توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾ [1] .

وقوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعَودنّ في ملّتنا فأوحى إليهم ربّهم لنهلكنّ الظالمين﴾ [2] .

قد تنازع المفسرون في معنى " العود في ملتهم " ذكر ابن عطية، وينقل منه عامة المفسرين، عن ابن عباس قال: " كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم، ويقهرونهم، ويدعونهم إلى العود في ملتهم فأبى اللـه لرسوله والمؤمنين أن يعودوا في ملتهم - وهي ملة الكفر - وأمرهم أن يتوكلوا عليه ".

قال في تفسيره في قصة (أو لتعودّن في ملّتنا): ليس المراد عودهم إلى الكفر، فإنّ الأنبياء لم يكنوا كفاراً، وقال ابن عطية: والعود أبداً إنما هو إلى حالة قد كانت، والرسل ما كانوا قط في ملّة الكفر، والمعنى: أو لتعودن في سكوتكم عنّا - كما كنتم قبل الرسالة - وكونكم أغفالاً.

قال: وذلك عند الكفار كون في ملتهم .

(1) سورة الأعراف :[88،89] .

(2) سورة إبراهيم :[13] .

فصاحب هذا القول أقر العود على معناه المعروف، ولكن جعله عوداً إلى ترك الأمر والنهي وعدوتهم إلى الإيمان كما كانوا قبل أن يرسلوا، وجعلوا هذا عوداً في ملتهم عند أولئك الكفار، وهذا يرد عليه: بأن هذا العود إنما يكون للرسل خاصة، فهم الذين أمروا ونهوا ودعوهم إلى اتباعهم .

وقال أبو الفرج: أو لتعودون في ملتنا، يعني، ديننا، وهو الشرك .

فإن قيل: كيف قالوا: "أو لتعودن " وشعيب لم يكن كفر قط ؟ فعنه جوابان: أحدهما:

أنهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافراً، ثم آمن، خاطبوا شعيباً بخطاب أتباعه، وغلبوا لفظهم على لفظه لكثرتهم وانفراده .

والثاني: لتصيرن في ملتنا، فوقع القول على معنى الابتداء، كما يقال: عاد إليّ .

وكذلك البغوي مع الثعلبي، وغيرهما، وقد أضافا واللفظ للبغوي: "لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه "، " أو لتدخلن في ديننا "

وقبل: معناه إن صرنا في ملتكم، ومعنى " عاد ": صار .

وردّ ابن تيمية على ذلك بقوله: هؤلاء فسروا الملة بالكفر، وما ذكروه لا يشهد لمعنى الآية، فإن لفظها: **(أو لتعودُنَّ في ملّتنا)** ، وقول شعيب **(قد افترينا على الـلـه كذباً إن عُدنْا في ملتّكم)** ، وكذلك قالوا للرسل. وهذا كقول النبي ﷺ: " **العائد في هبته كالعائد في قيئه، ليس لنا مثل السوء ".**

وفي السنن: " ليس لواهب أن يرجع في هبته إلاّ الوالد فيما وهبه لولده ".

ويقال: عاد لذا، كقوله تعالى ﴿**ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهو عنه**﴾ [1] .

وقوله تعالى : ﴿**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا**﴾ [2] .

واللفظ في مثل هذا الموضع صريح بالعود إلى أمر كان عليه الرسل وأتباعهم، ولا يحتمل غير ذلك .

ولفظ العود: الرجوع، وهو يقتضي رجوعاً إلى شيء، ورجوعاً عن شيء فعند الإطلاق قد يراد الرجوع عن هذه الحال والحود عنها ونحو ذلك، ويقتضي رجوعاً إلى شيء، ولهذا سمي المرتد عن الإسلام مرتداً وإن كان وُلد على الإسلام ولم يكن كافراً عند عامة العلماء؛ لأنه رجع عن الإسلام .

وأما قولهم: إن شعيباً والرسل ما كانوا في ملتهم قط، وهي ملة الكفر، فهذا فيه نزاع مشهور، وبكل حال فهذا خبر يحتاج إلى دليل سمعي أو عقلي، وليس في أدلة الكتاب والسنة والإجماع ما يخبر بذلك .

وكثير من أهل السنة يقولون: إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة. كما قال ذلك: ابن الأنباري والزجّاج وابن عطية وابن الجوزي.

قال البغوي: " وأهل الأصول على أن الأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الـلـه قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم تبين له شرائع دينه".

وعلّق ابن تيمية: بأن قوله هذا يناقض ما ذكره في قوله تعالى: ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾ . [3] ومعنى الآية: وجدك ضالاً عمّا أنت عليه اليوم

---

(1) سورة المجادلة :[8].

(2) سورة المجادلة :[3].

(3) سورة الضحى :[7].

فهداك لتوحيده والنبوة. فجعل التوحيد مما كان ضالاً عنه فهداه إليه، وأيضاً فقوله تعالى : ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ يناقض هذا.

وتحقيق القول في ذلك: أن اللـه سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه، كما قال تعالى ﴿**اللـه أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ [1] وقال عز وجل: ﴿**اللـه يصطفي من الملائكة رسُلاً ومن الناس**﴾ [2]. بل قد يبعث النبي من أهل بيت ذي نسب طاهر، كما قال هرقل لأبي سفيان: " كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها ". ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه منهم نقص ولا بغض ولا غضاضة إذا كان على مثل دينهم إذا كان عندهم معروفاً بالصدق والأمانة، وفعل ما يعرفون وجوبه ويجتنبون ما يعرفون قبحه، وقد قال تعالى: ﴿**وما كنا مُعذّبين حتى نبعث رسولاً**﴾ [3].

وفرق بين من يرتكب ما عَلِمَ قبحه وبين من فعل ما لم يعرف، فإن هذا الثاني لا يذمونه ولا يعيبونه عليه، ولا يكون ما فعله مما هم عليه منفرداً عنه، بخلاف الأول .

وكان النبي ﷺ يسمونه " الصادق الأمين " فكان اللـه قد صانه من قبائحهم، ولم يعرف عنه قط كذبة ولا خيانة ولا فاحشة ولا ظلم قبل النبوة .

---

(1) سورة الأنعام: [124].
(2) سورة الحج: [75].
(3) سورة الإسراء: [15].

المطلب الثالث / تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين**﴾.

قال تعالى: ﴿**إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [(1)] ونظيرها في المائدة [(2)].

بيّن سبحانه وصف أهل السعادة والنجاة من الأولين والآخرين، وقال عز وجل: ﴿**إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والمجوس والذين أشركوا إنّ الـلـه يفصل بينهم يوم القيامة**﴾[(3)].

فأخبر أنه يفصل بينهم، ولم يجعل في المشركين والمجوس من هو من أهل السعادة في الآخرة، كما جعل ذلك في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين .

فظنّ بعض الناس أنّ الذين أخبر عنهم في الآية بالنجاة والسعادة ليسوا إلا ممن بعث محمد إليهم، لم يخبر فيها بحال من كان موجوداً قبل مبعثه، وغلطوا فيها في الفهم، ثم افترقوا على أقوال متناقضة تخالف لفظ الآية ومعناها .

والصواب :أن الآية عامة تتناول من اتصف بما ذكر فيها قبل مبعث الرسول، وهو الذي يدل عليه لفظ الآية، ويعرف به معناها من غير تناقض،

---

(1) سورة البقرة: [62].

(2) الآية: [69] ونصها: ﴿**إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

(3) سورة الحج: [17].

ويعرف به قدرها، ويظهر به مناسبتها لما قبلها وما بعدها، وهذا هو القول المعروف عن السلف وجمهورهم.

فالآية عامة تضمنت الخبر عن أديان أهل الأرض التي أصلها صحيح في أهلها، وهم سعداء، وذلك أن الدين إما أنّ يكون أصله حقاً كدين أهل التوراة والإنجيل و القرآن ،أو أصله باطلاً كدين المشركين.

ومما يدل على صحة هذا القول وجوه وهي :

الوجه الأول: أنّ قوله تعالى :﴿**إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين**﴾ عام، والأسماء المعارف كلها من صيغ العموم، ومن أدلها على العموم الموصولات وأدوات الشرط، وهذا خبر عنهم، فكل من كان من الذين هادوا والنصارى والصابئين فقد دخل في لفظ الآية .

الوجه الثاني :أنّ الآية قصد بها البشارة لمن آمن بمحمد لم يخص بها هؤلاء، وإلا فكل من آمن بمحمد من أصناف الكفار والمشركين والمجوس والمعطلين [1] فإنه من أهل السعادة ..

الوجه الثالث: أنه لو أريد بها من بعث إليهم فقط دون من مضى، فإما أن يراد بهم الذين كفروا، وإما الذين آمنوا، أو الطائفتين .

والأول / ممتنع ؛ لأنه مدح من هؤلاء من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، والكفار به ليس فيهم أحد من هؤلاء .

---

(1) المعطلون: هم الذين جحدوا صفات اللـه تعالى، وأنكروا قيامها بذاتها ونفوا ما دلت عليه من صفات الكمال، ويندرج تحت هذا الاسم فرق كثيرة – نسأل اللـه السلامة والعافية – .

فإن قيل: هو مدح لمن تاب من هؤلاء. قيل: فمن كان مؤمناً من هؤلاء حين بعث الرسول وآمن به فهو أحق بالمدح، فكيف يخرج منها ؟!

وإن قيل: أراد بها الذين آمنوا فقط / قبل: إن كان قوله ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين**﴾ مختصا بمن آمن به فأي حاجة إلى قوله ﴿**من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً**﴾ ؟

وإن قيل: بل ذلك يتناول كل من بعث إليه، فكل من آمن به ممن بعث إليه فهو سعيد من هؤلاء، ومن المشركين والمجوس .

الوجه الرابع :أن سبب نزول هذه الآية: هو السؤال عمن مضى ممن آمن بالله واليوم الآخر، فلا يجوز إخراجهم من الآية .

الوجه الخامس: أنه لم يذكر في الوعد بالسعادة الإيمان بالرسل. بل قال: ﴿**من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً**﴾ . والإيمان بالله يتضمن الإيمان بالرسول، لكن لم يجعل الوعد معلقاً به، لشمول الآية لمن مات قبل مبعثه .

الوجه السادس: إذا قيل: إن هذه الآية خصّت هؤلاء بالسعادة دون غيرهم، قيل: إذا كان قد ذكر الأصناف الأربعة: [المؤمنون واليهود والنصارى والصابئين]، ثم خصّ بالسعادة من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، كان من ليس من هؤلاء أولى أن لا يكون من أهل السعادة، إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً .

الوجه السابع: أن لفظ (الذين هادوا والنصارى) يتناول جميع أهل الكتاب – التوراة والإنجيل – الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، والذين كانوا بعد ذلك، فهذا الاسم لا يختص بالكفار منهم، وكذلك لفظ " بني إسرائيل " ولفظ " أهل الكتاب " ليس مختصاً بالكفار .

المطلب الرابع / تفسيره لقوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه) :-

قوله تعالى: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه إنّ اللـه يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ [1] .

هذه الآية في حق التائبين، وأما آية النساء وهي قوله تعالى: ﴿**إن اللـه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [2] فلا يجوز أن تكون في التائبين، كما يقول من يقوله من المعتزلة ؛ فإن التائب من الشرك يغفر له الشرك أيضاً، بنصوص القرآن واتفاق المسلمين .

وهذه الآية فيها تخصيص وتقييد [3]، وتلك الآية فيها تعميم وإطلاق[4]. هذه خص فيها الشرك بأنه لا يغفره، وما عداه لم يجزم بمغفرته، بل علّقه بالمشيئة، فقال ﴿**فيغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ .

وإنّ هذه الآية كما ترد على الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فهي أيضاً ترد على المرجئة الواقفية الذين يقولون: يجوز أن يعذب كل فاسق فلا يغفر لأحد، ويجوز أن يغفر للجميع، فإنه قد قال: ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ ، فأثبت أن ما دون ذلك هو مغفور، لكن لمن يشاء، فلو كان لا يغفر لأحد

(1) سورة الزمر: [53 – 55].

(2) سورة النساء: [48].

(3) يقصد آية سورة النساء .

(4) يقصد آيات سورة الزمر .

بطل قوله (ويغفر ما دون ذلك) ، ولو كان يغفره لكل أحد بطل قوله (لمن يشاء)، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك، وأنّ المغفرة هي لمن يشاء دلّ ذلك على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك، لكنها لبعض الناس، وحينئذ فمن غفر له لم يُعذب، ومن لم يغفر له عُذب .

وهذا مذاهب الصحابة والسلف والأئمة، وهو القطع بأنّ بعض عصاة الأمة يدخل النار وبعضهم يغفر له .

"والذي عليه أهل السنة والجمهور: أنّ التوبة ممكنة من كل ذنب لمن أرداها وممكن أن اللـه يغفره". [1]

(1) هذه خلاصة ما ذكره الإمام ابن تيمية: من [ص 299– 334].

بطل قوله (ويغفر ما دون ذلك) ، ولو كان يغفره لكل أحد بطل قوله (لمن يشاء)، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك، وأنّ المغفرة هي لمن يشاء دلّ ذلك على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك، لكنها لبعض الناس، وحينئذ فمن غفر له لم يُعذب، ومن لم يغفر له عُذب .

وهذا مذاهب الصحابة والسلف والأئمة، وهو القطع بأنّ بعض عصاة الأمة يدخل النار وبعضهم يغفر له .

"والذي عليه أهل السنة والجمهور: أنّ التوبة ممكنة من كل ذنب لمن أرداها وممكن أن الـلـه يغفره". [1]

(1) هذه خلاصة ما ذكره الإمام ابن تيمية: من [ص 299- 334].

المطلب الخامس / تفسيره لمعنى اسمه تعالى " القيوم "، ومعنى " الحنيف " الواردان في كثير من الآيات القرآنية :-

أولاً: في معنى اسمه تعالى " القيّوم" [1] :-

وقد قرأ طائفة :" القيّام " و " القيّم "، وكلها مبالغات في القائم وزيادة .

قال تعالى ﴿**شهد اللـه أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط**﴾ [2]. فهو قائم بالقسط والعدل وقيامه بالقسط يستلزم قدرته، فدلّ هذا الاسم على أنه قادر وأنه عال .

وعدلُ سبحانه يستلزم الإحسان، وأن كل ما يفعله فهو إحسان للعباد ونعمة عليهم، ولهذا يقول عُقَيْبَ ما يعدِهِ من النعم على العباد (فبأي آلاء ربكما تكذبان) [3]، وآلاؤء هي نعمه، وهي متصمنة لقدرته ومشيئته، كما هي مستلزمة لرحمته وحكمته .

وأيضاً: فلفظ " القيّام " يقتضي شيئين: القوة والثبات والاستقرار، ويقتضي العدل والاستقامة. فالقائم ضد الواقع، كما أنه ضد الزائل، والمستقيم ضد المعوج والمنحرف .

---

(1) اسم اللـه تعالى " القيّوم " ورد في ثلاث سور من القرآن الكريم، وهي كالآتي :-

- سورة البقرة: [255]، قال تعالى ﴿**اللـه لا إله إلا هو الحي القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾.
- سورة آل عمران: [2]، قال تعالى ﴿**اللـه لا إله إلا هو الحي القيّوم**﴾ .
- سورة طه: [111]، قال تعالى ﴿**وعَنَتِ الوجوه للحّي القيّوم وقد خاب من حَمَل ظلما**﴾.

(2) سورة آل عمران: [18].

(3) سورة الرحمن: فقد وردت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة أولها في آية [13].

ومنه الصراط المستقيم والاستقامة، وهذا كما قال تعالى: ﴿**إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾ [1]، وما يهدي إليه القرآن أقوم مما يهدي إليه الكتاب الذي قبله (التوراة) وإن كان ذلك يهدي إلى الصراط المستقيم، لكن القرآن يهدي للتي هي أقوم ؛ ولهذا ذكر هذا بعد قوله:

﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل**﴾ [2]، ثم قال: ﴿**إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾ .

وبالإخلاص يكون العبد قائماً، وبالشرك زائغاً، كما قال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين القيّم**﴾ [3]، وإقامته: توجيهه إلى الـلـه وحده، وهو أيضاً إسلامه، فإن إسلام الوجه لله يقتضي إخضاعه له، وإخلاصه له .

وقال تعالى: ﴿**كونوا قوّامين بالقسط**﴾ [4]، وقال: ﴿**قوّامين لله**﴾ [5]، والقوّام هو القيّام، فإنّ " قيّام " وقيُّوم " أصله: "قيْوَام" ،" وقيوْومُ " ولكن اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت إحداهما بالأخرى ؛ لأنّ الياء أخف من الواو .

ولما كان اسمه تعالى " القيُّوم" وهو قيوم السماوات والأرض ومقيم كل مخلوق من الأعيان والصفات، دلّ ذلك أن كل مخلوق له نصيب من القيام، فهو قائم بالقيّم الذي أقامه، كما أنّ له قدراً بالخلق، فإن اسمه :" الخالق "

---

(1) سورة الإسراء: (9) .
(2) سورة الإسراء: (2) .
(3) سورة الروم: (43).
(4) سورة النساء: (135) .
(5) سورة المائدة: (8).

يقتضي الإبداع والتقدير، فقال: ﴿**إنّا كل شيءٍ خلقناه بقدر**﴾ [1] . وإذا كان لكل شيء مخلوق قيام وقدر ؛ دلّ ذلك على فساد قول من أثبت الجوهر الفرد[2]، ومن قال: العرَضَ لا يُبْقي زمانين [3] .

فإن الذين يقولون بالجوهر الفرد يثبتون شيئاً لا تتميز يمينه عن يساره، ولا يعرف بالحس، وهو ممتنع وجوده، فإن وجود ما لا يتميز منه جانب عن جانب ممتنع، وإنما يفرضونه في الذهن .

وعلى قولهم: لا قدر له، و اللـه تعالى قد جعل لكل شيء قدراً، فما لا قدر له لم يُخلق، بل هو ممتنع .

الخلاصة: أن اسمه سبحانه " القيّوم" يقتضي الدوام والثبات والقوة، ويقتضي الاعتدال والاستقامة، وقد وصف نفسه بأنه قائم بالقسط، وأنه على صراط مستقيم. ومنه قوله تعالى ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ [4]، ومنه قامة الإنسان وهو اعتداله، ومنه قيام الإنسان، فإنه يتضمن الاعتدال مع كمال وطمأنينة .

---

(1) سورة القمر: (49) .

(2) الجوهر في الاصطلاح: هو القائم بنفسه، أو الشاغل للحيّز .

ويستعمل " علماء الكلام" المسلمون: الجوهر الفرد للدلالة على الجوهر البسيط، وهو الجزء الذي لا يتجزأ. والذين أثبتوا الجوهر الفرد: هم المعتزلة والأشاعرة، وقد فندّ شيخ الإسلام ابن تيمية قولهم هذا في كتابه (منهاج السنة النبوية) ج1، ص212، وج2، ص139.

(3) العَرض عن أهل الاصطلاح الكلامي: قد يراد به ما يقوم بغيره مطلقاً، وقد يراد به ما يقوم بالجسم من الصفات. ويراد به في غير هذا الاصطلاح أموراً أخرى.

(4) سورة التين: [4].

ثانياً: في معنى " الحنيف ":-

إن هذا الاسم قد تكرر في القرآن، وقد فرض اللـه على الناس أن يكونوا حنفاء، فرضه اللـه على أهل الكتاب، ثم على أمة محمد. وأوجب عليه وعليهم أن يتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً .

فقال تعالى في أهل الكتاب: **﴿وما أُمروا إلاّ ليعبدوا اللـه مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة﴾** (1) .

وهذا أمر لجميع الخلق من المشركين، وأهل الكتاب وغيرهم. وقال تعالى: **﴿قل بل ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾** (2). وقال عن إبراهيم عليه السلام: **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾** (3) .

والقرآن كله يدل على آن الحنيفية هي ملة إبراهيم، وأنها عبادة اللـه وحده والبراءة من الشرك، وعبادته سبحانه إنما تكون بما أمر به وشرعه، وذلك يدخل في الحنيفية، ولا يدخل فيها ما ابتدع من العبادات، كما ابتدع اليهود والنصارى عبادات لم يأمر بها الأنبياء، فإن موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعهم كانوا حنفاء، بخلاف من بدّل دينه فإنه خارج عن الحنيفية .

---

(1) سورة البينة: [5] .

(2) سورة البقرة: [135].

(3) سورة آل عمران: [67].

وكلام السلف وأهل اللغة يدل على هذا وإن تنوعت عباراتهم [1] .

- رري عن ابن أبي حاتم بإسناده عن عثمان بن عطاء الخرساني عن أبيه في قوله (حنيفاً مسلماً) قال: " مخلصاً مسلماً ".
- وقال محمد بن كعب: " الحنيف: المستقيم ".
- وقال مجاهد: " هو اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس ".

(1) اقتصرت في هذه العجالة على ذكر " ثلاثة " من هذه الأقول، بينما ساق الإمام ابن تيمية أقوالاً كثيرة ومتنوعة . انظر كتاب :تفسير آيات أشكلت. تحقيق: عبد العزيز الخليفة. ص395 – ص401.

الفصل الثاني

مقدمة الإمام ابن تيمية في أصول التفسير

المبحث الأول / بين يدي (مقدمة في أصول التفسير) ...

المطلب الأول / الأصل المخطوط والطبعات السابقة .

المطلب الثاني / الموضوعات والفصول التي تكشف عنها هذه المقدمة .

المطلب الثالث / مدى أهمية هذه المقدمة والأثر الذي تركته.

المطلب الأول / الأصل المخطوط والطبعات السابقة :-

- أصل هذه المقدمة - التي بين أيدينا - مخطوط، كُتب على الأرجح: في القرن الحادي عشر الهجري / وقد كان فيها شيئاً يسيراً من النقص، اسْتُدرك من نسخة أخرى جاء بها الأستاذ " طاهر الجزائري " ووضعها " لدى القاضي الشيخ " محمد حسن الشطي "، بمعاونة ابن شقيقه الشيخ " محمد جميل الشطي " - رحمهم اللـه جميعاً - وكان ذلك سنة 1318هـ. وتقع هذه المخطوطة - على صورتها التي آلت إليها :- في ست عشرة ورقة من القطع الصغير (12 - 18سم تقريباً) وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (21 سطراً)

والذي سمىّ هذه الرسالة بـ" مقدمة في أصول التفسير " هو الشيخ محمد جميل الشطي، والذي دعاه إلى هذه التسمية: هي المواضيع التي تناولتها المقدمة، وكذلك قول ابن تيمية في فاتحتها: " .. فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانية ....."، والقواعد الكلية: هي التي عبّر عنها بـ "الأصول "، وإن كان لا مانع من أن تسمى " مقدمة في قواعد التفسير " [(1)] .

- وقد نشرت هذه الرسالة أول مرة سنة 1355هـ- 1936م بدمشق، بعناية الأستاذ الشيخ جميل الشطي " مفتى الحنابلة بدمشق " في ذلك الوقت.

---

(1) انظر تقديم د. عدنان زرزور، في تحقيقه: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. ص21، ص22 [بتصرف].

وقدّم لها بصفحة واحدة ذكر فيها أنه " لم يعلم حتى الآن أنهّ أُلّفّ مثلها في موضوعها، ولا أنها وجُدت عند أحد مخطوطة أو مطبوعة.

ثم أُعيد طبعها في القاهرة سنة 1370 هـ بعناية الأستاذ المرحوم محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها .

وفي عام 1388 هـ أقدمت المكتبة العلمية بلاهور " باكستان " على إعادة نشر هذه الرسالة بدون أية عناية [1] .

ويمكن أن يضاف إلى هذه الطبعات طبعة أخرى: حيث ضُمّنت هذه الرسالة الجزء الثالث عشر من " مجموع فتاوى شيخ الإسلام " المطبوع في الرياض سنة 1382 هـ [2].

(1) المرجع السابق نفسه: ص22، ص23. [باختصار].

(2) من الصفحة: 329 – 375 .

المطلب الثاني / الموضوعات والفصول التي تكشف عنها هذه المقدمة :-

لقد ضمّن الإمام ابن تيمية في مقدمته: القواعد الأساسية التي تفتح طريق فهم القرآن، تَضَع بين يدي المفسر أصول الموازنة والترجيح بين الأقوال والآراء، وتعصمه من الخطأ والزلل " قدر الإمكان ".

قواعده هذه تنطلق من المنهج الذي رسمه لنفسه بدقّة، وقسّم رسالته إلى خمسة فصول، كل فصل منها يتناول عدّة مواضيع، على النحو التالي :-

بيّن في الفصل الأول: أنّ النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه "، وبنى على ذلك قوله: إن النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً، وأن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة.

وسنناقش هذه المسائل في حينها " بمشيئة اللـه تعالى ".

وفي الفصل الثاني: تحدث ابن تيمية عن الخلاف الواقع في التفسير بين السلف، وبيّن بأنه قليل جّداً، وأنه من قبيل " اختلاف التنوع ".

وفي الفصل الثالث: انتقل ابن تيمية فيه للكلام على الاختلاف - في التفسير بعد أن تعددت مناهجه و مدارسه، وتناول هذا الاختلاف من جهتي " النقل والاستدلال ".

وفي الفصل الرابع: يعرض فيه أصح وأحسن طرق التفسير، فيبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

وبعد ذلك بيّن إجمالاً :" أحسن الطرق في حكاية الخلاف ".

وفي الفصل الخامس: يتناول ابن تيمية فيه :" تفسير القرآن بأقوال التابعين " ويعرض الأعلام المفسرين من التابعين، ويبيّن حتى تكون أقوال التابعين حجّة في التفسير ؟.

وفي ختام ابن تيمية لرسالته هذه ينتقل إلى الحديث عن :-

" تفسير القرآن بمجرد العقل "، وبيّن التحقيق في الرأي المحرم والرأي الجائز، وينقل في ذلك عن السلف نقولاً ينهون فيها عن التفسير بغير علم .

وبإذن اللـه تعالى سيتم مناقشة هذه المواضيع في حينها.

المطلب الثالث: مدى أهمية المقدمة والأثر الذي تركته :-

- الإمام ابن تيمية " رحمه اللـه " ترك لنا في مقدمته هذه منهجاً علمياً رصيناً لفهم كتاب اللـه العزيز، ولذلك فهي تعتبر من أهم ما كتبه في علم التفسير، بل تعتبر من أهم ما كتب في هذا الباب بإطلاق ؛ لأنها تصف بوضوح الخطوط العريضة التي ينبغي على المفسر أن ينطلق من خلالها أثناء تفسيره لكتاب اللـه، وكذلك أورد هذه القواعد التي تكف الناس عن التحريف في القرآن .

- وأيضاً تكمن أهمية هذه المقدمة لما لها من أثر في المفسرين من بعده :-

حيث أننا نجد الحافظ ابن كثير اعتمد على هذه المقدمة في مقدمة تفسيره المشهور، عند قوله: فإن قال قائل :" فما أحسن طرق التفسير " ؟ الجواب: ساق كلام ابن تيمية ". وأيضاً عند قوله: فصل / إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ....الخ [1] .

وأيضاً نجد الإمام السيوطي لخّص أهم فصول هذه المقدمة في كتابه " الإتقان " تحت أوجه الاختّلاف في التفسير وأنواعها، (النوع الثامن والسبعون): في معرفة شروط المفسر وآدابه، وعقّب على هذا الفصل بقوله " انتهى كلام ابن تيمية مُلخصاً، وهو نفيس جداً " مماّ يدل على إعجابه بمقدمة ابن تيمية. وكذلك نقل من كلام ابن تيمية في باب التفسير بالرأي وطبقات المفسرين، وخاصة عند حديثه عن طبقة التابعين [2]. وكذلك الشيخ " محمد

(1) انظر مقدمة الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، في: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي محمد السّلامة. ج1، [ص7، ص10].

(2) انظر كتاب الإمام جلال الدين السوطي ،: الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: عصام الحرستاني. ج2، [ص522- ص529]، [ص512- ص566].

بهجت البيطار " أعجب بها وأثنى عليها في كتابه وقال :- " رسالته هذه فيض من بحره، قد أملأها من فؤاده، وقد أودعها لآلئه ودُرَرَهُ، فهي تريك صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن وفهمه، وتهديك لحل لعض مشكلات التفسير ومصطلحاته، وتدلك على أهدى المفسرين وأفضل كتبهم، وتحذرك عماّ انتحلوا لأنفسهم من عقائد وأصول بنوا تفاسيرهم عليها، رَدُّوا كلام الـلـه وسنة رسوله إليها " [1] .

" مماّ سبق يتبيّن لنا أهمية مقدمة ابن تيمية والأثر الذي تركته ".

(1) الشيخ محمد بهجت البيطار: حياة شيخ الإسلام " محاضرات ومقالات ودراسات " ص178.

المبحث الثاني: استهلال ابن تيمية في رسالته :-

المطلب الأول / السبب الذي دعاه لكتابة هذه المقدمة .

المطلب الثاني / بيانه لأنواع العلم المنقول، وبيان الحاجة الماسّة لفهم القرآن.

المطلب الثالث / الآيات القرآنية التي ساقها، وبيان عدم اعتماده في وضع هذه المقدمة على أحد.

المطلب الأول / السبب الذي دعاه لكتابه هذه المقدمة :-

قال " رحمه اللـه تعالى " بعد حمد اللـه والصلاة على رسوله المصطفى .. أماّ بعد :-

" فقد سألني بعض الإخوان: أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل، فإنّ الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين، والباطل الواضح، والحق المبين ".

في بداية هذا الاستهلال الطيّب: يبيّن الإمام ابن تيمية السبب الذي دعاه لكتابة هذه الرسالة وغرضه منها. وهذا يبيّن للباحثين في أي مجال ضرورة التنويه إلى الأسباب والدواعي التي من أجلها يكتبون أبحاثهم أو رسائلهم أو كتبهم...، وأن يكون هذا التنويه في بداية كلامهم. فهذا بمثابة أصل من أصول كتابة البحث العلمي .

والذي دعى الإمام ابن تيمية لكتابة هذه الرسالة العلمية - كما نوّه -: هو طلب بعض طلاب العلم وسؤالهم له أن يكتب " مقدمة " يدّون فيها قواعد وأصول عامة تجعلهم يقفون عليها ومن خلالها يستطيعون فهم القرآن الكريم تدّبراً وتعلّماً وتفسيراً ...، وأن تكفل لهم هذه القواعد التمييز في منقول المعاني ومعقولها وهذا من شأنه أن يفّرق بين الحق وأنواع الأباطيل، وأن ينبهّ على الدليل الفاصل بين الأقوال، وهو ما يسمّى بـ" علم قانون الترجيح " القائم على الدليل .

وأيضاً يسوق ابن تيمية كلاماً يتضمن ما وجده هو وطلبة العلم في الكتب المصنفة في التفسير وأنّ فيها ما هو مشحون بالغث والسمين، والباطل الواضح والحق المبين، والوقوف على هذه القواعد يضمن للمفسر الوقوف على هذا وذاك، فالباطل يجتنبه ويبيّن بطلانه، والحق يتبعه ويدعو لا تباعه، فيسلك في تفسيره المسلك السليم.

وفي الواقع: هذا الاستهلال الرائع بيّن فيه الإمام ابن تيمية الأسباب الداعية لكتابة هذه الرسالة، وفي نفس الوقت بينّ لنا أهميتها .

فقد وضع بيّن أيدينا: المنهج العلمي السليم المنضبط، فيكون القارئ أو المفسّر بعد توفيق اللـه تعالى مؤهلاً لمهمة التعامل مع الأصل الأول من أصول الدين وهو{ القرآن الكريم } قراءةً وتدبرّاً وتفسيراً وتأويلاً تبقى هذه المسألة نسبية لمن فتح اللـه عليه .

المطلب الثاني/بيانه لأنواع العلم المنقول،وبيان الحاجة الماسّة لفهم القرآن:

* قال رحمه اللـه: " والعلم: إماّ نقل وُصدُّق عن معصوم، وإماّ قول عليه دليل معلوم، وما سوى ذلك: فإماّ مزيف مردود، وإماّ موقوف لا يعلم أنه بخروج ولا منقود".

يبيّن – رحمة اللـه – هنا أن العلم الصحيح ينقسم إلى قسمين رئيسين :–

القسم الأول / وهو النقل الصحيح عن كتاب اللـه وعن المصطفى ﷺ، فكلاهما معصومين من الخطأ .

والقسم الثاني / وهو القول الذي يستند إلى دليل معلوم في الشريعة الإسلامية، مستنبط إماّ من الكتاب أو السنة .....

وسوى هذين القسمين: إماّ أن يكون كذب وباطل يردُّ على صاحبه، وإماّ أن يكون موقوفاً عليه، حتى يتبيّن أهو ردئي أم جيّد. [1]

- ثم يذكر رحمه اللـه: " وحاجة الأمّة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل اللـه المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يَخْلَق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء من قال به صَدَق، ومن تحميل به أُجر، ومن حكم به تعدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط المستقيم، ومن تركه من جبأر قصمه اللـه، ومن ابتغى الهدى في غيره أصلّه اللـه ".

---

(1) الرديء: هو المقصود من قول ابن تيمية " يهرج"، والجيد

والجيد: هو المقصود من قوله " منقود".

انظر كتاب الإمام محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح. (البهرج) ص67، (نقد) ص281.

يبيّن الإمام ابن تيمية في هذا الكلام الجميل: الحاجة الماسّة للأمة إلى فهم القرآن، ففيه عزّتها ورفعتها وعلوّ مكانتها، وبه مكمن الهداية، والعلاج من كل داء.

وفيه الحقيقة: أنّ هذا الكلام يكتب بماء الذهب، وهو واضح وجلي، لا يحتاج لأي تعليق .

فقد بيّن – رحمه اللـه – من خلال هذه الجواهر التي كتبها: أهمية فهم كتاب اللـه، الذي لا بدّ الرجوع إليه وتحكيمه في كل الأمور والجوانب واستنباط الكنوز والدُّرر من خلاله، وأنّ من ابتغى الهدي من غير كتاب اللـه تعالى فقد ضَلّ وبَعُدَ عن الهدى .

والدليل الواضح على صحّة هذا الكلام: هو ما نعيشه في هذا العصر من التيه والضنك في العيش ؛ بسبب البعد عن كتاب اللـه تعالى وهدايته .

المطلب الثالث / الآيات القرآنية التي ساقها، وبيان عدم اعتماده في وضع هذه المقدمة على أحد :-

ساق رحمه اللـه في استهلاله لمقدمته " مجموعة من الأدلة القرآنية " منها :-

قال تعالى ﴿**فإما يأتينّكم منّي هُدى فمن اتّبع هدايَ فلا يضلُّ ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾ [1] .

وقال تعالى: ﴿**قد جاءكم من اللـه نور وكتابُ مبين * يهدي به اللـه من اتبع رضوانه سُبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾ [2] .

سجّل - رحمه اللـه - مثل هذه الآيات ليبرهن على كلامه السابق الذي كان مُفاده السبب في " حاجة الأمة الماسّة إلى فهم القرآن "، وفهم القرآن لا يتم إلاّ بعد قراءة آياته وتفسيرها ؛ للوقوف على أحكامها ومقتضياتها وبالتالي تطبيقها على أرض الواقع، أي (علم وعمل) .

وجميع هذه لآيات تفيد إلى ضرورة اتباع ما في القرآن الكريم ؛ لأنّ فيه الحق والهدى، وعدم الالتزام به يكون الزيغ والضلال. فهو الهدى والنور والصراط المستقيم.

---

(1) سورة طه: [123- 126].

(2) سورة المائدة: [15- 16].

* ثم يذكر رحمه الـلـه :" وقد كتبت هذه المقدمة مختصرة، بحسب تيسير الـلـه تعالى، من إملاء الفؤاد، و الـلـه الهادي إلى سبيل الرشاد ".

فهذه الكلمات القلائل التي ختم بها استهلاله الطيّب: بيّن أنه رحمه الـلـه راعى في مقدمة هذه أن تكون مختصرة – بما يليق مع المقام – على حسب ما ييسره الـلـه تعالى له، فالله وحده هو المعين والوكيل، وأنّها من إملاء فؤاده، أي أنه لم يعتمد على أيّ مصدر، إلاّ فؤاده .

ولذلك أصبحت هذه " الرسالة القيّمة " مصدراً رئيساً لمن أتى بعده من المفسرين طلاّباً أو علماء .

وبرغم اختصارها – الذي نوّه إليه – إلا أنها حوت على كنوز وفوائد جمّة، ستظهر لنا من خلال دراستها، بإذن الـلـه تعالى وتوفيقه ومعونته .

المبحث الثالث: القسم الأول من الكتاب :-

" في أي النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن".

المطلب الأول / الأدلة التي ساقها الإمام ابن تيمية في هذه الشأن، ومناقشتها .

المطلب الثاني / الرأي الراجح في هذه المسألة .

المطلب الأول / الأدلة التي ساقها الإمام ابن تيمية في هذه الشأن، ومناقـشتها -:

قال " رحمه الـلـه ": " يجب أن يُعْلَم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّنَ لهم ألفاظه ".

من خلال هذا الاستهلال لابن تيمية: نجده يقرر بداية بأن النبي ﷺ فسّر القرآن كُلّه وبيّن معانية وألفاظه لصحابته الكرام، ثم سجّل أدلته لما ذهب إليه، وفيما يلي أذكر الأدلة التي ساقها الإمام ابن تيمية، وبعد سردها أُناقشها، وهي:-

(1) قوله تعالى ﴿لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم﴾ [(1)]. يتناول هذا وهذا .

وجه الدلالة التي قصدها - رحمه الـلـه - من ذكر هذا الدليل: أنّ البيان في الآية يتناول بيان معاني القرآن، كما يتناول ألفاظه. فكما بيّن النبي ﷺ ألفاظ القرآن كلها كان لا بد أن يكون قد بيّن كل معانية أيضاً، وإلاّ كان مقصراً في أمر الـلـه وتكليفه له.

(2) ما قاله " أبو عبد الرحمن السُّلمَي ": حدثنا الذين كان يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان،

وعبد الـلـه بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ؛ قالوا: " فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ". ولهذا كانوا يبقون

(1) قال تعالى مخاطباً نبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم**﴾ النحل:[44].

مدة في حفظ السورة. وجه الدلالة: " العلم والعمل "، فالتعلم لا يكون إلاّ بالشرح والتوضيح، وهذا يؤدي إلى العمل .

(3) أنّ هناك آيات قرآنية عديدة توجب تدبر القرآن وفهم نصوصه، وساق الإمام الآيات التالية:

- قال تعالى ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته**﴾ [1] وقال ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾[2] وقال ﴿**أفلم يدّبَّروا القول**﴾ [3] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يكون - وكذلك قال تعالى ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾[4] وعقل الكلام متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام لا يُعقل حتى يُفهم، فالمقصود منه فهم ومعانية دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك .

(4) أنّ العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم، كالطب والحساب، ولا يستشرحوه ؛ فكيف بكلام اللـه تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم .

وبعد تقريره " رحمه اللـه " لهذه المسألة، بنى على ذلك بقوله :

" ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً.."

---

(1) سورة ص: [29].
(2) سورة النساء: [82].
وكذلك سورة محمد: [24].
(3) سورة المؤمنون :[68].
(4) سورة يوسف: [2].

..." وأنّ التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تقوا عنهم علم السنة ؛ وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال " [1].

وبعد النظر في الأدلة التي ساقها الإمام ابن تيمية في هذه المسألة، والتي خرج بمفادها على " أنّ النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن ".

نقف هنا – وقفة مختصرة – لمناقشة هذه الأدلة " الأربعة "، وبالتالي: نحكم على مدى صحة هذا القول " وتبقى وجهه نظر" ولم يقل رحمه اللـه هذا القول إلاّ عن علم، له الأجر من اللـه عز وجل، ومناقشة الأدلة على النحو التالي [2] :–

الدليل الأول: وهو قوله تعالى ﴿**لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم**﴾. استدلال غير صحيح ؛ من جانبين :

الجانب الأول / أنّ الرسول ﷺ مطالب ببيان ما يحتاج إلى بيان وما أُشكل، وليس كل معاني القرآن وما لم يشكل منها. والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿**وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبينّ لهم الذي اختلفوا فيه**﴾ [3] فالرسول ﷺ مأمور هنا ببيان ما أُشكل عليهم. ولذلك نربط الآيتين معاً.

---

(1) انتهى كلامه " رحمه اللـه " في هذا الفصل. انظر " المقدمة " تحقيق: زرزور. ص35 – ص38.

(2) مناقشة الأدلة: هي خلاصة ما استفدته من: –

* محاضرات أستاذي الفاضل " د. أحمد فريد " في مساق مادة " مناهج المفسرين " عام 2003 م .

* د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. ج1، انظر ص53 – ص59.

(3) سورة النحل: [64].

الجانب الثاني / أنّ اللـه تعالى قال في آخر هذه الآية ﴿**ولعلهم يتفكرون**﴾، والسؤال لماذا أور هذه التذييل ؟ لم يأتي عبثاً، وهو من أهم أغراض البلاغة، ففيه حثٌ على التفكر فيما فُسّر وفيما لم يفسّر في حدود المُفَسَّر .

وبالتالي: يتبيّن لنا بعدم صحة هذا الاستدلال .

وبالنسبة للدليل الثاني: وهو الاستدلال بما روي عن عثمان وابن مسعود " رضي اللـه عنهما"

فهو استدلال لا يصح أيضاً ؛ لأن غاية ما يفيده: أنهم كانوا لا يجاوزون ما تعلّموه من القرآن حتى يفهموا المراد منه، وهو أعم من أن يفهموه من النبي ﷺ أو من غيره من إخوانهم الصحابة، أو من تلقاء أنفسهم، حسبما يفتح اللـه به عليهم من النظر والاجتهاد .

وأمّا الدليل الثالث: وهو أنّ هناك آيات قرآنية عديدة توجب تدبر القرآن وفهم نصوصه، أيضاً هذا دليل لا يقوم، حيث أنّ جميع هذه الآيات الواردة في التدبر والفهم فيها " إرشاد "، وهذا لا يتعين كله من رسول اللـه، وإلاّ قد عطّلنا عقولنا، وهذا مخالف لقوله تعالى ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[1] الشاهد: أنّ هذه الآية الكريمة تأمرنا بالتدبر للقرآن الكريم، وإعمال العقول في الحدود المسموحة له، فهذا لا يتأتى جميعه من النبي ﷺ، وإنما للعقل دور.

---

(1) سورة محمد: [24].

وبالنسبة للدليل الرابع: وهو أن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاب لا يستشرحوه ؛ فهو قياس خاطئ ؛ لأنه تمّ فيه قياس الكتب الدنيوية على كتاب الـلـه تعالى، وبني على مقدمات غير صحيحة وغير سليمة، وأيضاً: المطلوب هو الفهم وليس الاستشراح، ولا يلزم من هذا الدليل أيضاً: أن يكون الصحابة قد رجعوا إلى النبي ﷺ في كل لفظة منه، ففيه تعجيز. " و الـلـه أعلم ".

ومما سبق يتضح لنا: عدم صحة جميع هذه الأدلة لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الـلـه تعالى " في :" أنّ النبي بيّن لأصحابه معاني القرآن " وبالتالي: وجهة النظر هذه ليست بصحيحة، ويبقى صاحبها عالماً جليلاً لا يستهان بعلمه ولا بقدره، إذ لا عصمة إلاّ لله ولرسوله الكريم.

والجديد بالذكر: أنّه – رحمه الـلـه – كما ذُكر سابقاً: بني بقوله هذا على أنّ " النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً "، فهو صحيح، ولكن ليس لأنّ النبي ﷺ بيّن لهم كل القرآن ؛ إذ لو كان بيّن لهم كل القرآن لما اختلفوا أصلاً، وإنما كان سبب اختلافهم اليسير هذا: هو تفاوتهم في العلم، فلم يكونوا على درجة واحدة في الفهم والإدراك وهذا أمر طبيعي، له عدّة أسباب، سَتُعرض بمشيأة الـلـه تعالى في حينها، عند الحديث عن: اختلاف السلف في التفسير .

وبعد عرض ودراسة وتحليل هذه الأدلة وبيان عدم صحتها: يجدر بنا التعرف على الرأي السديد في هذه المسألة، فإذا كان النبي ﷺ لم يفسّر القرآن كله، هل هذا يعني أنّه لم يفسّر منه شيئاً أم ماذا ؟

هذا ما سيتبيّن لنا – بمشيأة الـلـه تعالى – في المطلب الآتي.

المطلب الثاني / الرأي الراجح في هذا المسألة:-

قبل بيان " الرأي الراجح " في هذه المسألة، يجدر بنا أن نعلم بأنّ هناك قول آخر في هذه المسألة: وهو أن النبي ﷺفسّر من القرآن القليل القليل .

وفي مقدمة أصحاب هذا القول: الإمام السيوطي [1]، ويستدلون ببعض الأدلة التي لا تقوم على صحة ما ذهبوا إليه [2] .

<u>والخلاصة</u>: بأن القول الأول لا يصح، وكذلك الأمر مع القول الثاني، فالمغالاة في كلا القولين. والصحيح :" التوسط بين القولين"، وهو أن النبي ﷺفسّر ولكن لم يفسّر كل القرآن ولم يفسّر القليل منه، وإنّما فسّر النبي ﷺ ما اقتضاه الأمر والبيان، بأن يكون هناك سؤال يُسأل عنه فيجيب، من نحو مشكل أو متشابه أو تقييد مطلق أو تخصيص عام ...الخ [3].

والذي يجعلنا نرتضي هذا القول، هو مجموعة من الأمور، وهي :-

<u>أولاً:</u> ما صرح به " ابن عباس " فيما رواه عنه الطبري :-

قال: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ اللـه ". [4]

---

(1) انظر كتاب جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: عصام الحرستاني. ج2، ص174 وانظر أيضاً ص179.

(2) أرى هنا أنه لا داعي لذكر هذه الأدلة ؛ نظراً لعدم اتساع المقام، ولأن التركيز في هذه الدراسة على كلام ابن تيمية وما ذهب إليه في مقدمته .

(3) انظر كتاب د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون. ج1، ص58.

(4) الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ضبط وتعليق: محمود شاكر. ج1، المقدمة ص40.

وبالتالي: فالرسول ﷺ لم يفسّر كل القرآن ؛ لأنّ منه ما يعلمه العرب بألسنتهم وهو ما يتعلق باللغة والإعراب، وهذا لا داعي لتفسيره، ولأنّ منه ما لا يعذر أحد بجهالته، وهو علم الحلال والحرام وما يعرف من الدين بالضرورة، وهذا لا يخفي على أحد؛ ولأن منه ما استأثر اللـه بعلمه، كقيام الساعة، وحقيقة الروح ... فهذه الأمور لم يُطلع اللـه عليها نبيه، فكيف له أن يفسرها ؟! وإنما النبي ﷺ فسّر مما يندرج تحت القسم الثالث: وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم .

ثانياً: أنّ النبي ﷺ ترك لنا كثيراً من النصوص دون تفسير: ليجعل منها مجالاً رحباً لاستعمال العقل، وهنا يجب توظيف الآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكر والتدبّر، فهذا لا يتأتّى إلاّ بتوظيف وإعمال العقل ضمن ووفق الشروط والضوابط والحدود المتاحة .

ثالثاً: وأيضاً لأن الحوادث لا تنقطع ونصوص القرآن ثابتة، فلو فسّر لنا كل شيء من القرآن فإننا لن نجد تفسيراً ولا حكماً للحوادث الطارئة، وهذا لا يوافق طبيعة هذا الدين بأنه عالمي مرن يحيط بكل جديد .

رابعاً: ولو كان النبي ﷺ فسّر للعرب القرآن: لجمد القرآن جموداً بحيث لا يتساير مع عصر آخر غير عصر الرسول ﷺ وصحابته الكرام، لخرج علينا كثير من الملحدين والحاقدين والماكرين على دين اللـه بافتراءات يزعمون فيها بأنّه نزل في عصر مُحدّد لا يصلح لغيره ؛ ولذلك ترك كتاب الإنسانية ليفسر تاريخ الإنسانية .

خامساً: أيضاً لو كان النبي ﷺ فسّر القرآن كله لما اختلف الصحابة في فهم الآيات، وأيضاً لو كان كذلك فما الداعي إلى التفسير في عهد الصحابة

وما وجه الحاجة إليه فيمن جاء بعدهم ؟. وتكمن هذه الحاجة من واقع الأحداث التي تعرّضوا إليها ودخول كثير من الأعاجم في دين اللـه، مماّ دعى إلى ظهور بعض القضايا التي تبنى عليها بعض الأحكام على ضوء قواعد الشريعة [1] .

مما سبق يتبين لنا: أنّ الرسول ﷺ لم يفسرّ القرآن كله، ولكنه فسّر على قدر الحاجة، وقد فعل ذلك عامداً متعمداً ؛ للأسباب التي تم ذكرها سابقاً. " و اللـه أعلم".

(1) مجمل هذه الأسباب استفدتها من محاضرات أستاذي الكريم " د. أحمد فريد ".

المبحث الرابع: القسم الثاني في الكتاب :-

"في اختلاف السلف في التفسير وأنه اختلاف تنوّع "

المطلب الأول / أصناف اختلاف السلف "رحمهم اللـه".

المطلب الثاني / سبب النزول وأثره في فهم الآية .

المطلب الأول / أصناف اختلاف السلف "رحمهم الـلـه " :

ذكر ابن تيميه – رحمه الـلـه – في بداية هذا الفصل قوله: "الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ".

قرر الإمام في استهلاله هذا: قلّة الاختلاف بين السلف، وأنّ أكثر اختلافهم في الأحكام، وهو ما يتعلق بالأمور الفقهيّة ونحوها، وأنّ اختلافهم هذا هو اختلاف تنوّع وليس اختلاف تضاد ،أي أنها أقوال متنوعة يمكن الجمع بينها،وليست متضادة ،أي لا يمكن جمعها لمعاكستها فيما بينهما .

ثم ذكر ابن تيميه في هذا الفصل مجموعة في أصناف اختلاف السلف، وقد سجّلها بغير ترتيب ثم ذكر في آخر هذا الفصل جملة عامة لأسباب الاختلاف، وما أقوم به هنا: هو ذكر "أصناف الاختلاف " مرتبة، ثم أعرض للأسباب العامة .

***أصناف الاختلاف أو أوجه الاختلاف، وقد سجل رحمه الـلـه أربعة أصناف وهي:-**

أحدهما: أن يعبر كل واحد منهما عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمّى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمّى، بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة و المتباينة: ويذكر – رحمه الـلـه – على ذلك أمثلة كثيرة منها :-

1) أسماء الـلـه الحسنى، فإنّ أسماء الـلـه كلها تدل على مسمّى واحد، فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضاداً لدعائه باسم آخر، بل الأمر كما قال تعالى ﴿**قل ادعوا الـلـه أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾ [1] .

2) وكذلك أسماء النبي ﷺ، مثل: محمد، وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب.

3) وكذلك أسماء القرآن، مثل: الفرقان، والهدى، والشفاء، والبيان، والكتاب، وأمثال ذلك. ثم قال: فإن كان مقصود السائل تعيين المسمّى: عبّرنا عنه بأي اسم كان إذا عرف مسمّى هذا الاسم، وقد يكون الاسم علماً، وقد يكون صفة .. وإن كان مقصود السائل معرفة ما في الاسم من الصفة المختصة به: فلا بد من قدر زائد على تعيين المسمّى .

مثل: أن يسأل عن (القدوس السلام المؤمن) [2] وقد علم أنّه الـلـه، لكن مراده: ما معنى كونه قدوساً، مؤمناً، ونحو ذلك.

ثم يعلق – رحمه الـلـه – مباشرة، بقوله: إذا عرف هذا: فالسلف كثيراً ما يعبرون عن المسمىّ بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر ؛ كمن يقول: أحمد هو الحاشر والماحي والعاقب. والقدوس هو الغفور الرحيم، أي إن المسمّى واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه .

فهذا الكلام الواضح الجلي الذي ذكره الإمام يُعلم منه: أن هذا ليس اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تنوّع، فهو تصحيح لأفهام الناس. ويذكر

---

(1) سورة الإسراء: [110].

(2) سورة الحشر: [23].

على ذلك مثالاً على اختلاف السلف في التفسير من هذا الصنف، وهو :- تفسيرهم للصراط المستقيم :-

(1) فقال بعضهم: هو القرآن أي اتباعه

(2) وقال بعضهم:هو الإسلام. ثم يقول: فهذان القولان متفقان، لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبّه على وصف غير الوصف الآخر.

(3) وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة.

(4) وقول من قال: هو طريق العبودية .

(5) وقول من قال: هو طاعة الـلـه ورسوله ﷺ وأمثال ذلك.

ثم يقول(رحمه الـلـه) بعد نهاية حديثة عن هذا الصنف :"فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها " [1].

<u>الصنف الثاني</u>: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه، على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه. ويذكر مثالين على ذلك :

- مثل سائل أعجمى سأل عن مسمّى لفظ (الخبز) فأري رغيفاً، وقيل له: هذا؛

فالإشارة إلى نوع هذا، لا إلي هذا الرغيف وحده. - ومثال ما نقل في قوله تعالى ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**﴾[2] فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول

(1) انظر مقدمة في أصول التفسير: ص38 - ص43.[بتصرف واختصار].

(2) سورة فاطر: [32].

المضيّع للواجبات، والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات. والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات. **فالمقتصدون هم أصحاب اليمين، والسابقون السابقون أولئك المقربون..**

ثم يعلق "رحمه الـلـه " بعد ذكره لهذين الصنفين بقوله: " وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير: تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمّى وأقسامه، كالتمثيلات: هما الغالب في تفسير سلف الأمة، الذي يظن أنه مختلف " [1].

الصنف الثالث [2]**:** ما يكون اللفظ فيه محتملاً لأمرين :-

- إما لكونه مشتركاً في اللغة؛ كلفظ " قَسْوَرَة": الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد. ولفظ " عسعس ": الذي يراد به إقبال الليل وإدباره .
- وإمّا لكونه متواطئاً [3] في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشخصين؛ كالضمائر في قوله ﴿**ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[4]وكلفظ (الفجر)، (والشفع والوتر)، (وليال عشر)[5]وما أشبه

---

(1) المصدر السابق نفسه: ص49.

(2) لم يسمي ابن تيمية هذا الصنف بالصنف الثالث، ولكن ذكر مثابة ذلك بقوله "ومن التنازع الموجود عندهم "، ص49.

(3) علّق د. عدنان زرزور في تحقيقه على هذه اللفظة بقوله :" لعلها: مواطئاً، من المواطأة، وهي الموافقة على شيء واحد؛ بمعنى أن اللفظ في الأصل يدل على شيء واحد، دون اشتراك أو غيره " انظر هامش ص50.

(4) سورة النجم: [8، 9].

(5) الآيات مطلع سورة الفجر .

ذلك. ثم يعلق بقوله: فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالتها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

الصنف الرابع [1]: أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة ؛ فإن الترادف في اللغة قيل، وأماّ في ألفاظ القرآن فإماّ نادر وإمّا معدوم، وقلّ أن يُعبّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه. وهذا من أسباب إعجاز القرآن. ثم يذكر أمثلة على ذلك وهي: قوله تعالى ﴿**يوم تمور السماء موراً**﴾[2]إن المور هو الحركة ؛ كان تقريباً إذ المور حركة خفيفة سريعة. وكذلك إذا قال: الوحي الإعلام، أو قيل: (أوحينا إليك): أنزلنا إليك، أو قيل:(وقضيناً إلى بني إسرائيل) أي أعلمنا.

ثم يعلق رحمة اللـه بقوله: فهذا كله تقريب لا تحقيق.ثم يتحدث غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض[3]وبعد نهاية حديثة عن أصناف الاختلاف الأربعة السابقه، يذكر رحمه اللـه: جملة عامة لأسباب الاختلاف، بقوله: " والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل والذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون للغلط في فهم النص، وقد يكون لاعتقاد معارض راجح " [4] .

مماّ سبق بيّن شيخ الإسلام أوجه الاختلاف المفصّلة والمجملة. [5]

---

(1) لم يسمي ابن تيمية هذا الصنف بالصنف الرابع، ولكن ذكر مثابة ذلك بقوله "ومن الأقوال الموجودة عندهم "، ص51.

(2) سورة الطور: [9].

(3) انظر مقدمة في أصول التفسير: ص52– ص54.

(4) المصدر السابق نفسه: ص55.

(5) انظر أوجهاً أخرى لأنواع الاختلاف عند الإمام ابن تيمية في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: حامد الفقي. ص37 – ص40

المطلب الثاني / سبب النزول وأثره في فهم الآية :-

عرض شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الموضوع أثناء حديثه عن أصناف اختلاف السلف، وأحببت أن أذكر هذا الموضوع منفصلاً في مطلب مستقل ؛ لأهميته .

فقد قال " رحمه الـلـه ": وقد يجيء كثيراً من هذا الباب [1] قولهم: هذه الآية نزلت في كذا، لا سيما إن كان المذكور شخصاً، كأسباب النزول المذكورة في التفسير ؛ كقولهم: إنّ آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس بن شماس [2]، وإن آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني، أو هلال بن أمّية [3]، وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الـلـه [4].

وغير ذلك من الأمثلة العديدة التي ذكرها رحمه الـلـه [5].

والجديد بالذكر هنا: أن نسجل " تعريف سبب النزول ": وهو ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له أو مبينة لحكمه .... من خلال هذا التعريف نفهم أن أحداث أسباب النزول هي ما كانت في عهد سيدنا رسول ﷺ، أماّ الأحداث التي كانت قبل بعثة النبي أو تلك التي ستكون بعد عهد النبوة فلا تعد من أسباب النزول ... [6].

---

(1) أي باب أصناف اختلاف السلف .

(2) آية الظهار في سورة المجادلة: [2].

(3) الآيات من سورة النور: [6- 9].

(4) آية الكلالة في سورة النساء: [176].

(5) انظر مقدمة في أصول التفسير: ص45. ص47.

(6) أ. د. فضل حسن عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن. ج1، ص253.

ثم يبيّن الإمام ابن تيمية بأنّ معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ويقول:

إنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسببّ ؛ ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف: رجع إلى سبب يمينه، وما هيجّها وأثارها. وقولهم: " نزلت هذه الآية في كذا " يراد به تارة أنه سبب لنزول، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول، عني بهذه الآية كذا [1].

ثم يتابع في قوله ... إلى أن يقول: وإذا ذكر أحدهم للآية سبباً نزلت لأجله، وذكر الآخر سبباً، فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرتين، مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب [2].

ويستحسن أن نذكر هنا ما قاله ونقله الإمام السيوطي في الإتقان، قال:-

" إنّ معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها ...

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها ببيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد،: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية..." [3] .

(1) أي: فيكون من جنس الإستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع. كما يقول الإمام برهان الدين الزركشي، في: البرهان في علوم القرآن. ج1، ص32.

(2) انظر تفصيل القول في هذين الاحتمالين مع الشواهد، في كتاب السيوطي: الإتقان ج1، ص105، ص108

(3) الإمام جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. ج1، ص97.

وقبل الانتهاء من هذا المبحث يجدر بنا أن ننتبه لأمر هام وهو :-

أن الاختلاف قد وقع بين الصحابة نتيجية لاجتهادهم فيما لا دليل عليه من كتاب أو سنة .

وقد علّم الرسول ﷺ أصحابه كيفية الاستنباط والاجتهاد فيما ليس فيه نص فساروا على طريقه واتبعوا منهجه.

ورغم الاختلاف في اجتهاد الصحابة إلاّ أن له مميزات أهمها ما يلي :-

1. اقتصارهم على الواقع ؛ فقد كانوا لا يفرضون المسائل قبل وقوعها .
2. قلة المأثور عنهم ؛ فقد كان الصحابة الكرام يتورعون عن الفتيا خشية الزلل .
3. حرية الاجتهاد عن الصحابة ؛ فقد كان كل منهم يجتهد فيما يرى أنه الحق.
4. تورع نسبة الرأي إلى اللـه ورسوله عليه الصلاة والسلام ؛ فقد كان الصحابة ينسبون إلى أنفسهم [1].

" وإنّ الصحابة كانوا مختلفين في مقدار الفهم والذكاء ؛ ولهذا اختلفوا في طريقة استنباطهم للأحكام من القرآن تبعاً لاختلافهم في فهمه، كما أن الخصائص التي تمتّعت بها اللغة العربية أوقعتهم في الخلاف " [2].

وبعد الانتهاء من هذا المبحث: يتبّين لنا أنّ الخلاف بين السف في التفسير قليل، وأنه من باب اختلاف التنوّع .

كما تبيّن لنا: أنّ معرفة " سبب النزول " يُعين على فهم الآية، أو الآيات القرآنية .

---

(1) انظر كتاب: د. أبو سريع محمد عبد الهادي: اختلاف الصحابة، " أسبابه وآثاره في الفقه الإسلامي ". ص20 – ص22. [باختصار].

(2) المرجع السابق نفسه: ص29.

المبحث الخامس: القسم الثالث من الكتاب :-

" في نوعي الاختلاف في التفسير ".

المطلب الأول / الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل، وما يندرج تحته .

المطلب الثاني / الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال، وما يندرج تحته .

المطلب الأول/الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل،وما يندرج تحته:-

يعرض " ابن تيمية " في هذا الفصل إلى الاختلاف في التفسير وأنه على نوعين:-

منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك. أي هو إماّ " نقل " أو "استدلال ". ويتحدث "رحمه الـلـه " في البداية عن النوع الأول، فيقول: والمقصود بأنّ جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم - وهذا هو الأول - فمنه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه. وهذا القسم الثاني من المنقول وهو ما لا طريق إلى الجزم بالصدق منه " عامته مما لا فائدة فيه "، والكلام فيه من فضول الكلام .

وأماّ ما يحتاج المسلمون إلى معرفته فإنّ الـلـه نصب على الحق فيه دليلاً. ثم ذكر "رحمه الـلـه " أمثلة لما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضُرب به موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك [1].

ويذكر " رحمه الـلـه " بعد ذلك خلاصة الموضوع بقوله: " والمقصود: أن الاختلاف الذي لا يعلم صحيحة، ولا يفيد حكاية فيه، هو كالمعرفة لما يروى من الحديث الذي لا دليل على صحته، وأمثال ذلك. وأما القسم الأول الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما يحتاج إليه ولله الحمد، فكثيراً ما

(1) هذا الذي ذكره الإمام مما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه، مطروح منه بكثرة في كتب التفسير .

يوجد في التفسير والحديث والمغازي أمور منقولة عن نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء صلوات اللـه عليهم وسلامه – والنقل الصحيح يؤكّد ذلك – بل هذا موجود فيما مستنده النقل وفيما يعرف بأمور أخرى غير النقل. فالمقصود: أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب اللـه الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره " [1] .

ويسوق " رحمه اللـه " قول الإمام أحمد :" ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم والمغازي "، ويروى: " ليس لها أصل " أي إسناد [2] ، لأن الغالب عليها المراسيل [3]. قصد من ذلك: أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم .

* ثم ذكر رحمه اللـه: أن أعلم الناس بالمغازي: أهل المدنية، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق ؛ فأهل المدنية أعلم بها: لأنها كانت عندهم، وأهل الشام كانوا أهل غزوٍ وجهاد، فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم .

- وأمّا التفسير فإنّ أعلم الناس به: أهل مكة ؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد اللـه بن مسعود .
- ثم يبيّن رحمه اللـه: **متى تكون الأحاديث المرسلة صحيحة** ؟:-

فيقول: إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد ؛ كانت صحيحة قطعاً، فإن النقل إماّ أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر،

(1) خلاصة الموضوع من مقدمة شيخ الإسلام: ص58.

(2) ذكر الإمام السيوطي: أن المحققين من أصحاب الإمام أحمد قالوا: مراده أن الغالب ليس لها أسانيد صحاح متصلة. انظر الإتقان للسيوطي: ص2، ص304.

(3) التعريف المشهور للمراسيل: أنها ما أضافه التابعي إلى النبي ﷺ مماّ سمعه من غيره .

وإماّ أن يكون كذباً تعمد صاحبه الكذب، أو الخطأ فيه. **فمتى سلم من الكذب العمد والخطأ**: **كان صدقاً بلا ريب** .

- ثم يذكر رحمه الـلـه: كلاماً بالغ الأهمية في أن جمهور ما في البخاري ومسلم مماّ يقطع بأنّ النبي ﷺ قاله ؛ لأنّ غالبه من هذا، ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق، والأمة لا تجتمع على خطأ [1]... ويتابع بقوله: أنّ جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، تصديقاً له أو عملاً به، أنه يوجب العلم .
- ويذكر رحمه الـلـه بعد حديثه عن " الخلاف من جهة النقل ": رأيه في تفاسير " الثعلبي والواحدي والبغوي ":-

قال: **الثعلبي:** هو في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع [2].

والواحدي: صاحبه كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف [3].

والبغوي: تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة [4].

---

(1) هذا بمثابة رد على من يورد الشبه على أن ما في البخاري ومسلم من أحاديث هي غير صحيحه. وهذه التهمة أوردها كثير من المستشرقين، وللأسف تسللت إلى أفهام بعض المسلمين .

(2) الثعلبي: هو أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، توفي سنة (427هـ). واسم تفسيره: " الكشف والبيان ". ورأي ابن تيمية بهذا التفسير: فيه نظر لأن الثعلبي كان لا يدع ذكر السند في نقل الأخبار والآثار .

(3) الواحدي: هو علي بن أحمد النيسابوري، تلقى التفسير عن الثعلبي، وتوفي سنة (468هـ) وله ثلاثة تفاسير " البسيط " و" الوجيز" و" الوسيط "، وقد طُبع منها " الوجيز " فقط.

(4) البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، فقيه، محدث، مفسّر، توفي سنة (510هـ)

المطلب الثاني/ الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال، وما يندرج تحته:-

يذكر ابن تيمية هنا النوع الثاني من سببي الاختلاف: وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، ويقول: فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ..... وهاتين الجهتين هما :-

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به .

ويعّلق " رحمه اللـه ": بقوله: فالأوّلون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان. والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم، وسياق الكلام .

ثم يذكر " رحمه اللـه ": الذين أخطأوا في الدليل والمدلول، مثل: طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم تارة، يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة بتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه. ويمثل على هؤلاء: بفرق الخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم ... ويقول في موضع آخر: والمقصود: أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، ليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة

---

* انظر هامش تحقيق د. عدنان زرزور. ص76، ص77.

المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من العلم تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلاّ وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة ؛ وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم. وتارة من العلم بفساد ما فسّروا به القرآن ؛ إماّ دليلاً على قولهم، أو جواباً عن المعارض لهم .

ويتابع قوله: بأنهّ رأى من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم، أو يعتقد فسادها، ولا يهتدي لذلك، ثم أنه لسبب تطرق (1) هؤلاء وضلالهم دخلت الرافضة الأمامية، ثم الفلاسفة، ثم القرامطة، وغيرهم، فيما هو أبلغ من ذلك (2) .

ثم ذكر – رحمه اللـه – على كلامه هذا أمثلة عديدة بيّن فيها بطلان تفاسيرهم (3) .

وسجّل "رحمه اللـه " رأيه في: تفسير الزمخشري (4) وتفسير ابن عطية (5) :-

<u>أولاً</u>: قال رحمه اللـه :" ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، فصيحاً، ويدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون ؛ كصاحب " الكشّاف " ونحوه،

---

(1) أي بسبب تطرق هؤلاء إلى هذه التأويلات، التي " طرقت ": أي سهلت الطريق .

(2) انظر مقدمة في أصول التفسير: ص79،ص86 [باختصار].

(3) للاطلاع على الأمثلة القرآنية التي ساقها رحمه اللـه: انظر ص87 – ص89.

(4) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الخوارزمي، ولقبه الأشهر هو " جار اللـه " حيث غلب عليه؛ لمجاورته بـ " مكة " زماناً طويلاً. وُلد بـ " زمخشر " إحدى قرى " خوارزم "، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب، سنة 467هـ وتوفي ليلة عرفة من سنة 538هـ بـ " جرجانية ". واسم تفسيره " الكشاف عن حقائق عواض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ". (انظر حياة الزمخشري في أول تفسيره، تحقيق وتعليق: عادل أحمد وعلي محمد. ص5– ص12).

(5) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، أحد القضاة بالأندلس. واسم تفسيره " المحرر الوجيز في تفسير كتاب اللـه العزيز ". (انظر حاشية تحقيق: د. عدنان زرزور، ص90– ص91).

حتى إنه يُروّج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء اللـه " [1]

ثانياً: قال رحمه اللـه :" وتفسير ابن عطية، وأمثاله: أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسر الزمخشري ..." [2]

ثالثاً: ويذكر رحمه اللـه رأيه في تفسير الطبري [3] بقوله: " وهو من أجلّ التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً " [4].

ويقول في موضع آخر: وفي الجملة: من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه .

ثم يذكر: والمقصود هنا: التنبيه على مثار الاختلاف في التفسير، وأن من أعظم أسبابه: البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرّفوا الكلم عن مواضعه، وفسروا كلام اللـه ورسوله ﷺ بغير ما أريد به، وتأوّلوه على غير تأويله .

وفي نهاية كلامه " رحمه اللـه " في هذا الفصل تناول: الذين يخطئون في الدليل لا في المدلول، وقال: مثل كثير من الصوفية [5]، والوعاظ، والفقهاء، وغيرهم: يفسرون القرآن بمعان صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها .

---

(1) أرى أن ابن تيمية بالغ في كلامه هذا عن الإمام الزمخشري وتفسيره، فرغم ما في الكشاف من اعتزاليات إلا أنه حوى على جانب مشرق في قضايا اللغة والبلاغة، لم يسبق مؤلِّفه إليه، ويستطيع القارئ أن يقرأه مطمئناً من خلال حاشية ابن المنير " الانتصاف ".

(2) كان الأجدر للإمام " رحمه اللـه " أن لا يعقد مقارنة بين التفسيرين، فكل واحد منهما له ميزّة خاصّة .

(3) هو أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. واسم تفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

(4) انظر مقدمة في أصول التفسير: ص90 [باختصار].

(5) انظر في هذا الموضوع بحث قيمّ لأستاذي الكريم: د. أحمد فريد أبو هزيم. بعنوان: " تفسير الصوفية وموقف العلماء من اتخاذه منهجاً في التفسير ". نُشر في " مجلة دراسات "، علوم الشريعة والقانون،

ويمثل رحمه الـلـه على: كثير مما ذكره أبو عبد الرحمن السُّلمي في " حقائق التفسير "[1]، ويُعلّق في هذا الشأن بقوله: وإن كان فيما ذكروه مما هو معان باطلة، فإن ذلك يدخل في القسم الأول، وهو الخطأ في الدليل والمدلول جميعاً، حيث يكون المعنى الذي قصدوه فاسداً [2] .

مماّ سبق يتبيّن لنا: نوعي الاختلاف في التفسير ..

وأنّ منه ما يقع من جهة النقل، ومنه ما يقع من جهة الاستدلال .

وأنّ " النوع الثاني " هو أكثر وقوعاً من " النوع الأول "، وأنه حدث بعد تفسير الصحابة والتابعين [3].

المجلد 27، العدد 2، 2000م، من ص384- ص451. " يعطي البحث فكرة موجزة عن منهج الباطنية وبعض الصوفية من حيث تفسير كتاب الـلـه، كما يبيّن البحث: أن التفسير الصوفي الإشاري المنظبط شيء والتفسير الباطني والصوفي النظري شيء آخر. وخلص إلى أن التفسير الإشاري يجوز الأخذ به ضمن قواعد أصول التفسير ". انظر ملخص / 384.

(1) هو محمد بن الحسين بن موسى الأزدي النيسابوري، المتوفى سنة 412 هـ.

(2) مقدمة في أصول التفسير: ص 92، 93، وانظر هامش الصفحتين فيما ذكره د. عدنان زرزور عن " أبو عبد الرحمن السلمي".

(3) انظر التفصيل فيما ذكره د. محمد حسين الذهبي، في كتابه :" الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم(دوافها ودفها) . يعرض اتجاهات الإخباريين والقصاص، واتجاهات أصحاب المذاهب النحوية، واتجاهات المذاهب والفرق الدينية ... وغيرها، من ص20- ص35

المبحث السادس: القسم الرابع من الكتاب :-

" في أحسن طرق التفسير ".

المطلب الأول / تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني / تفسير القرآن بالسنة .

المطلب الثالث / تفسير القرآن بأقوال الصحابة،، وبيان منزلة ابن عباس وابن مسعود في التفسير .

المطلب الرابع / أحسن الطرق في حكاية الخلاف.

المطلب الأول / تفسير القرآن بالقرآن: -

ففي هذا الفصل الذي كتبه الإمام ابن تيمية " رحمه الـلـه " يبيّن أمراً هامّاً يتعلق بتفسير كتاب الـلـه عز وجل، فيقول: إن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب: إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنّه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان بسط في موضع آخر.

فهذا الكلام الذي ساقه " رحمه الـلـه " في غاية الأهمية، قال به نظراً للظروف العصيبة التي كانت محيطة به في عصره، ووجود الفرق المنحرفة المتعددة المشارب، فهذا ضابط يضبط المفسرين في تفاسيرهم ؛ مما يجعلهم يقربون إلى الحق والصواب .

وإن آيات القرآن الكريم تشهد بصحة كلام ابن تيمية، وتكشف عن هذا المنهج، منها -:

- قوله تعالى ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به * إنّ علينا جمعه وقرءانه * فإذا قرأناه فاتبع قرءانه * ثمّ إنّ علينا بيانه**﴾ [1]. فالله تعالى وعد نبيه ﷺ في هذه الآية ببيان القرآن، ومن أصدق من الـلـه قيلاً ؟!
- وقوله تعالى ﴿**كذلك يبيّن الـلـه آياته للنآس**﴾ [2] ففي هذه الآية تصريح بأنّ الـلـه يبيّن للناس آياته.

---

(1) سورة القامة: [16- 19].

(2) سورة البقرة: [187].

- وكذلك قوله تعالى: ﴿**قد جاءكم من اللـه نور وكتاب مبين**﴾ [1] غير ذلك من الآيات ...
- وبالتالي: فمنهج " ابن تيمية " هذا أصاب الغرض وحقّق المراد، فلم يرتجله ارتجالاً وإنّما استقاه من القرآن الكريم .

ويجدر بنا أن نعلم: أن " تفسير القرآن بالقرآن " يعدُّ أقوى أنواع التفسير، إلاّ أنه لا يقطع بصحته إلاّ إن كان الذي فسّر بالآية رسول ﷺ، أو وقع عليه الإجماع، أو صدر عن أحد الصحابة ولم يعلم له مخالف. وأماّ ماعدا هذه الصورة فإنه لا يجزم بصحّته ؛ لأنه اجتهاد من قائله يخطئ فيه ويصيب، مع أن الطريقة التي سلكها من حيث المبدأ صحيحة، لكنه قد يخطئ في التطبيق [2].

وبذلك يتبيّن لنا: أن " الاجتهاد " مدخل في هذا النوع من أنواع التفسير .

وطريقة تفسير القرآن بالقرآن: تبدو بارزة عند القدماء، كابن القيم، وابن كثير في تفسيره[3]، وكذلك الإمام ابن تيمية إضافة إلى ما ذكره في مقدمته نجده قد طبّق ذلك عملياً في العديد من كتبه ومؤلفاته [4]. وأيضاً هي نفس الطريقة التي بنى عليها "الشنقيطي " رحمه اللـه كتابه " أضواء البيان"[5].

---

(1) سورة المائدة :[5].
(2) انظر كتاب خالد بن عثمان السبت: قواعد التفسير جمعاً ودارسة ً. ج1، ص109.
(3) تمّت ترجمة كل من " ابن القيم وابن كثير ": أثناء الحديث عن تلاميذ" ابن تيمية ".
(4) انظر بعض النماذج في مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ج 15/ ص442- ص443. ج16/ ص111، ص511 .
(5) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. وُلد سنة 1325 هـ في (تنبه) من أعمال مديرية " كيفا " في شنقيط، وهي دولة " موريتانيا " الآن. وتوفي رحمه اللـه بمكة سنة 1393 هـ واسم

وإنّ " أوجه تفسير القرآن بالقرآن ": كثيرة ومتعددة ، فمنها مثلاً:-

1. البيان بطريق توضيح المجمل. 2. البيان بطريق تفصيل الموجز.

3. البيان بطريق تخصيص العام. 4. البيان بطريق تقييد المطلق .

5. البيان بطريق النسخ. 6. البيان بطريق القراءات .

7. الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف .

والأمثلة على ذلك: أكثر من أن تحصى، وهي مذكورة في كتب شتىّ [1].

وأذكر هنا بعض الأمثلة على ما ذكره ابن تيمية :-

أولاً: ما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وهو ما يسمّى، بـ " حمل المجمل على المبين "، فالمجمل: ما لم تضح دلالته. والمبين: ما كان واضح الدلالة. ومن أمثلته: قوله تعالى ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ [2] فقد بيّن المراد من الخيط الأبيض والأسود قوله ﴿**من الفجر**﴾ . وكذلك قوله تعالى ﴿**يا أيهُّا الذين آمنوا لا تتخذوا عدُوّي وعدُوّكم أولياء**﴾ ثم بين المراد باتخاذهم أولياء هنا بقوله ﴿**تلقون إليهم بالمودة**﴾ [3] نلاحظ بأنّ البيان في هذه الآيات: كان متصلاً.

تفسيره :" أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ". (انظر للترجمة التي ألحقها تلميذه عطية محمد سالم بالجزء التاسع من التفسير) .

(1) انظر تفسير " أضواء البيان "، حيث ذكر تفاصيل مهمة لا غنى عنها: ج1، ص7- ص32.

(2) سورة البقرة: [187].

(3) سورة الممتحنة: [1].

بينما نجد في قوله تعالى ﴿**أُحلّت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم**﴾[1] فالإجمال في قوله ﴿**إلاّ ما يتلى عليكم**﴾ بيانه في قوله تعالى ﴿**حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**﴾ [2] فالبيان كان هنا: منفصلاً. وغير ذلك من الأمثلة العديدة .

__ثانياً__: ما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، وهو ما يسمّى بـ " تفصيل الموجز" أي أن يذكر الشيء في أكثر من موضع، ويكون ذكره في بعضها موجزاً وفي الآخر مع شيء مما يوضحه فيبين الموجز بالمفصل .

وهذا أكثر من أن يحصى كقصص الأنبياء عليهم السلام. وكذا ما قصّه اللـه علينا مماّ يتعلق بخلق السموات والأرض، وأن ذلك وقع في ستة أيام، وقد ذكر ذلك مفصلاً في موضع آخر [3].

" وإنّ تفسير القرآن بالقرآن لا يشمل فقط تفسير آيات بأخرى مماثلة، وإنما يشمل تفسير إشكال معين والبحث في القرآن عن ايجاد جواب له ...

وإنّ المفسر إذا أراد أن يفسر آية قرآنية في موضوع معين: فعليه أن يجمع الآيات التي تشترك معها في الموضوع ليصل إلى تكوين الرأي الصحيح .

---

(1) سورة المائدة :[1].

(2) سورة المائدة: [3].

(3) انظر كتاب خالد بن عثمان السبت: قواعد التفسير جمعاً ودراسة. ذكر فيه " أنواع كثيره من تفسير القرآن بالقرآن مع أمثلة متعددة "، ج1، ص110- ص129.

ولقد انتبه الإمام ابن تيمية لهذا الأمر الخطير فنقد الاتجاه التفسيري الذي يبني فهمه لمعاني القرآن على نص واحد ولا يراعي دلالة النص ولا يتدبر مجموع القرآن والسنة " [1] .

- **يتبيّن لنا مماّ سبق :-**

أنّ تفسير القرآن بالقرآن: هو أعلى مراتب التفسير ؛ لأنه تفسير صاحب الكلام لكلامه. وهو قاعدة جليلة، يصل المفسر إذا استعان به إلى المعنى الصحيح ؛ لأن القرآن وِحْدة متكاملة مترابطة، بعضه يتمم البعض الآخر .

(1) د. محسن عبد الحميد: دراسات في أصول تفسير القرآن. ص96، ص97 .

المطلب الثاني / تفسير القرآن بالسنة :-

قال " رحمه الـلـه ": فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الـلـه محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول ﷺفهو مماّ فهمه من القرآن ؛ قال تعالى: ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الـلـه ولا تكن للخائنين خصيماً**﴾ [(1)].

ويتابع بقوله: والغرض: أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن :" بم تحكم ؟ قال: بكتاب الـلـه، قال: فإن لم تجد ؟ قال: اجتهد رأيي، قال: فضرب رسول ﷺ في صدره، وقال: الحمد الـلـه الذي وفّق رسول رسول الـلـه لما يرضي رسول الـلـه " .

وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد صيد [(2)].

وضّح الإمام ابن تيمية في كلامه هذا إلى أهمية السنة النبوية وضرورة الاتصال بها وفهمها في تفسير كتاب الـلـه. فأول ما بيّن رحمه الـلـه: أنّه إن أعيى المفسر تفسير القرآن من القرآن، فثاني عمل عليه أن يقوم به هو النظر إلى السنة فهي شارحة وموضحة لما في القرآن. وبذلك يتبيّن لنا: حجيّة السنة في الشريعة الإسلامية .

وعلينا أن ندرك أن السنة: هي ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال أو أفعال أو تقريرات أو صفات خُلُقيّة أو خَلْفِيّة. وكما اتضح لنا: فهي " الأصل الثاني " والسبب في ذلك:

(1) سورة النساء :[105].

(2) انظر تعليق د. عدنان زرزور: في هامش تحقيقه ص95.

لأن القرآن الكريم نزل في معانيه مجملاً أو كلياً ...، والمجمل والكلي لا يقع فيه تكليف، فكان لا بد من بيان ذلك، وبيانه يتم من خلال السنة المشرفة.

والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة منها :" الصلاة "، لم يرد في القرآن عدد ركعات كل فرض منها، ولا أوقاتها، ولا أركانها وشروطها وواجباتها ومبطلاتها ...الخ، وإنماّ الذي بيّن ذلك هو " السنة " من قول الرسول ﷺ وفعله ؛ ولذلك قال رسول ﷺ: "صلّوا كما رأيتموني أُصلّي ". وكذلك الأمر أيضاً مع فريضة " الحج"، جاء قوله عليه الصلاة والسلام :" خذوا عنيّ مناسككم".

وبالتالي: نستنتج مماّ سبق بأنّ " السنة " لولاها لما استطعنا فهم كتاب اللـه[1] .

وقد تبيّن لنا – فيما سبق: أنّ النبي ﷺ بينّ لأصحابه من القرآن ما يتوقف فهمه على بيان النبي، وذلك كتبيين المجملات التي لم يفصّلها القرآن، وكشرح الألفاظ والمعاني التي ُأشكل فهمها على بعض الصحابة، كتخصيص العام، وتقييد المطلق ... وفيما يلي أمثله لذلك[2] :

- فمن بيانه للمجمل: مواقيت الصلوات الخمس ... وبيانه لمناسك الحج، ونحو ذلك .
- ومن بيانه للمشكل: تفسيره للخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

(1) جملة هذا الكلام: مما استفدته من محاضرات أستاذي الفاصل د. احمد فريد.

(2) انظر كتاب أ.د أحمد حسن فرحات: في علوم القرآن " عرض ونقد وتحقيق ". ص225،ص 226.

- ومن تخصيصه للعام: تخصيص معنى الظلم بالشرك في قوله تعالى ﴿**الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ [1] .
- ومن تقييد المطلق: تقييده اليد باليمين في قوله تعالى ﴿**فاقطعوا أيديهما**﴾[2].
- كما أنه عليه الصلاة والسلام بيّن أحكاماً زائدة على ما جاء في القرآن: كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وصدقة الفطر، ورجم الزاني المحصن .
- كما بيّن النبي ﷺ الناسخ والمنسوخ في القرآن.
- كذلك بيّن ما جاء في القرآن من باب العناية والتأكيد كقوله :" لا يحل مال امرئٍ مسلم إلاّ عن طيب نفس منه " فإنّه مؤكد لما جاء في قوله تعالى : ﴿**لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ [3] .

وغير ذلك من الأمثلة العديدة [4] .

- **يتبيّن لنا ممّا سبق :-**

أنّ تفسير القرآن بالسنة: هو المرتبة الثانية من مراتب التفسير ؛ وإنّه لولا السنة لما استطعنا فهم كتاب الـلـه عز وجل .

(1) سورة الأنعام :[82].

(2) سورة المائدة [38].

(3) سورة النساء [29].

(4) لمزيد من التفصيل: انظر كتاب د. محسن عبد الحميد: تطور تفسير القرآن " قراءة جيدة". ص13- ص17. وانظر كتاب خالد السبت: قواعد التفسير. ص130- ص148.

المطلب الثالث / تفسير القرآن بأقوال الصحابة ..

وبيان منزلة ابن عباس وابن مسعود في التفسير :-

قال رحمه اللـه: وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك ؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .

بيّن وضّح رحمه اللـه: القيمة العلمية الكبرى لتفسير الصحابة ؛ حيث يعد تفسيرهم من أحسن طرق تفسير القرآن الكريم. وإلى هذه الأهمية فطن المفسرون على مختلف اتجاهاتهم ومناهجهم، ومن ثم فإن من يقرأ كتب التفسير وبخاصة " التفسير بالمأثور" يلحظ حشداً كبيراً من المأثور الصحابة وغيرهم من السلف الصالح مبثوثة بين دفتي هذه الكتب .

ولذلك فإنّه من المعلوم أن صحابة رسول ﷺ كانوا – خاصة العلماء منهم – أعلم الناس بتفسير كتاب اللـه ؛ وذلك لأنه نزل بلغتهم التي كانوا يتكلمون بها، ويعرفون فقه ألفاظها وأساليب تعبيرها، فهم عرب خُلّص بالفطرة والسجيّة، ثم لأنهم عاشوا مع رسول اللـه حيث واكبوا نزول القرآن عليه ؛ ولهذا فإنهّ لا بد للمفسر أن يطلع على آراء الصحابة حتى لا يجانب الصواب، فيقع على القول الصحيح [1] .

(1) انظر كتاب د. محسن عبد الحميد: دراسات في أصول تفسير القرآن. ص105.

وقد تبيّن لنا فيما سبق " مميزات تفسير الصحابة "، ويجدر بنا هنا أن نعرف المصادر التي كانوا يعتمدونها في تفسيرهم لكتاب اللـه، وهو ما يسمّ بـ " المنهجيّة "، وهي [1] :-

أولاً: القرآن الكريم. **ثانياً**: النبي ﷺ. ثالثاً: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

وقد عدّ السيوطي " رحمه اللـه " من اشتهر بالتفسير من الصحابة وسمّاهم، وهم: الخلفاء الأربع، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد اللـه بن الزبير، رضي اللـه عنهم أجمعين[2].

ثم يتحدث الإمام ابن تيمية عن منزلة اثنين من الصحابة الكرام، هما " ابن عباس وابن مسعود، فينقل الإمام عن أبو جعفر الطبري: ... قال عبد اللـه بن مسعود: " والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب اللـه إلاّ وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب اللـه مني تناله المطايا لأتيته" [3] .

وعن ابن وائل عن ابن مسعود قال: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

ثم يذكر رحمه اللـه: ومنهم الحبر البحر " عبد اللـه بن عباس " [4] ابن عم رسول اللـه صلّى اللـه عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول اللـه له، حيث قال:

---

(1) انظر التفاصيل من كتاب د. محمد عبد الرحيم: تفسير الصحابة " مميزاته، خصائصه، مصادره " ص22- ص31. وانظر كتاب د. عبد اللـه أبو السعود: تفسير الصحابة. ص135- ص170.

(2) الإمام السيوطي: الإتقان. ج2، ص187. والذي جعل السيوطي " رحمة اللـه " أن يختار هؤلاء العشرة دون غيرهم: هو شهرتهم في الرواية عنهم، دون غيرهم.

(3) تفسير الطبري: ج1، ص42.

(4) انظر بحث قيمّ لأستاذي " د. أحمد فريد " بعنوان: " الالتزام المنهجي في تفسير ابن عباس"، نُشر في مجلة " دراسات "، علوم الشريعة والقانون، المجلد 24، العدد 2، 1997م. من ص179 إلى ص191. بيّن

" اللهم فقهّه في الدين وعلّمه التأويل "، وينقل عن ابن جرير: قال ابن مسعود: " نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس " [1].

ويذكر رحمه اللـه: أن ابن مسعود مات سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح، وعُمّر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود !.

وينقل عن الأعمش، عن أبي وائل: استحلف علي عبد اللـه بن عباس على الموسم فخطَبَ الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة – وفي راوية سورة النور – ففسّرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا [2].

وقبل الانتقال إلى موضوع آخر: يجدر أن أذكر ما قاله أستاذي الحبيب د. أحمد فريد:

وممن كثرت الرواية عنهم في التفسير ابن عباس وابن مسعود وأُبي كعب رضي اللـه عنهم؛ لحاجة الناس إليهم ولصفات عامّة مكّنت لهم ولغيرهم في التفسير، منها قوتهم في اللغة العربية ؛ وإحاطتهم بمناحيها، ونحو ذلك مماّ يعين على توضيح كتاب اللـه تعالى " [3].

وبعد هذه اللمحة الموجزة: تبيّن لنا قيمة أقوال الصحابة في التفسير، وتبيّن لنا مدى منزلة ابن عباس وابن مسعود في تفسير كتاب اللـه تعالى .

فيه قيمة ابن تيمية وأهم الأسس والركائز التي اعتمد عليها ابن عباس في تفسيره، وخَلُصَ في النهاية على رد الاتهامات التي وجّهت .

(1) تفسير الطبري: ج1، ص46.

(2) تفسير الطبري: ج1، ص42، ص43.

(3) د. أحمد فريد أبو هزيم: بحث " مأثور الصحابة وقيمته في التفسير ". ص 13.

المطلب الرابع / أحسن الطرق في حكاية الخلاف :-

قبل أن يذكر " رحمه اللـه " ما يكون في حكاية الخلاف: ذكر كلاماً مجملاً حول " الرواية الإسرائيلية "، وكان كلامه هذا مصدر لكل من أتى من بعده، قال: ما ورد من الأحاديث الإسرائيلية: تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدهما:ما علمنا صحّته مماّ بأيدينا مماّ يشهد له بالصدق، فذاك صحيح .

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مماّ يخالفه .

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني [1] .

ثم يذكر " رحمه اللـه " أحسن ما يكون في حكاية الخلاف، قال :-

" أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينُبّه على الصحيح منها ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأماّ من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبّه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضاً، فإن صحّح غير الصحيح عامداً فقد تعمّد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكي أقوالا متعددة لفظاً، ويرجع

(1) انظر مقدمة في أصول التفسير: ص100.

حاصلها إلى قول أو قولين معناً فقد ضيّع الزمان، وتكثّر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور "[1].

وفي الحقيقة: بأنّ هذا الكلام من أجمل ما يكون، فهو يوقف العلماء وطلاب العلم والقارئين والمثقفين .. على كيفية التعامل مع المسائل الخلافية، ويضع بيّن يدي الجميع: المنهجية العلمية السديدة في ذلك .

وممّا سبق يتبيّن لنا: الطريقة الثالثة من طرق التفسير: وهي" تفسير القرآن بأقوال الصحابة".

---

(1) المصدر السابق نفسه: ص101، ص102.

المبحث السابع: القسم الخامس من الكتاب :-

" في تفسير القرآن بأقوال التابعين ".

المطلب الأول / أهمية الرجوع إلى أقوال التابعين في التفسير ،، وبيان منزلة مجاهد في تفسير القرآن .

المطلب الثاني / أعلام المفسرين من التابعين .

المطلب الثالث/ متى تكون أقوال التابعيين حجة في تفسير؟.

المطلب الأول / أهمية الرجوع إلى أقوال التابعين في التفسير .. وبيان منزلة مجاهد في تفسير القرآن :-

قال رحمه اللـه: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين. كمجاهد بن جبر [1]، فإنه آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحق: عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأساله عنها [2] .

وينقل عن ابن جرير ... عن ابن أبي ُمليكة، قال: رأيت مجاهداً سأل عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال ابن عباس: اكتب حتى سأله عن التفسير كله. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به [3] .

يبيّن رحمه اللـه مماّ سبق: أنه إذا لم يوجد تفسير آية أو آيات قرآنية معينة لا في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة، فإن كثير من الأئمة رجع إلى أقوال التابعين، وبالتالي على المفسّر لكتاب اللـه أن يأخذ أقوال التابعين بعين الاعتبار.

وإذا سأل سائل لماذا الرجوع إلى أقوال التابعين؟، فالجواب أن يقال :-

(1) هو أبو الحجاج المكي. " المقرئ المفسر "، وُلد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب. ورُوي عنه أنه قال :" عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ". انظر الداوودي: طبقات المفسرين، ص504.

(2) تفسير الطبري: ج1، ص47.

(3) المصدر السابق نفسه: ج 1، ص 47.

1. لأنهم أخذوا كثيراً من التفسير عن الصحابة .

2. لكونهم بعض أهل القرون المفضلة .

3. لمعرفتهم بلسان العرب خير من معرفة من جاء بعدهم .

فهذه الأمور تعطي تفسيرهم مزيّة على تفسير من بعدهم في الجملة [1] .

وكانت مصادرهم في التفسير: (1) القرآن الكريم. (2) السنة النبوية. (3) أقوال الصحابة.

(4) أن يأخذ التفسير تابعي عن تابعي آخر. (5) اللغة. (6) أهل الكتاب .

(7) الفهم والاجتهاد. (8) ما عُرف من الوقائع والعادات والأحوال التي كان عليها الناس وقت نزول الوحي [2].

---

(1) خالد عثمان السبت: قواعد التفسير. ج1، ص188.

(2) نظر بشيء من التفصيل حول " مصادرهم في التفسير ": المرجع السابق نفسه. ص188 – ص192.

المطلب الثاني / أعلام المفسرين من التابعين :-

يذكر رحمه اللـه بعد بيانه لمنزلة مجاهد: أبرز أعلام المفسرين من التابعين وهم :- كسعيد بن جبير [1]، وعكرمة مولى ابن عباس [2]، وعطاء بن أبي رباح[3]، والحسن البصري [4]، ومسروق بن الأجدع [5]، وسعيد بن المسبب[6]، وأبي العالية [7]، والربيع ابن أنس [8]، وقتادة [9]،

(1) هو ابن هشام الأسدي، كنيته " أبو عبد اللـه "، كان فقيهاً ورعاً من الطبقة الثالثة. قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو. وكان يقال عنه: جهبذ العلماء، وكان من سادات التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة. مات قتيلاً سنة 95هـ.

(2) كان عبداً لعبد اللـه بن عبّاس، وكان يكنى: أبا عبد اللـه، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، ويعتبر من مفسرين التابعين في المائة الأولى. وتوفي سنة خمس ومائة .

(3) هو المكي القرشي، نشأ بمكة وعَلَّم الكتابة بها، يكنى بأبي محمد، من مفسرين التابعين في المائة الأولى، كان عالماً بالقرآن ومعانيه. وتوفي سنة خمس عشرة ومائة.

(4) هو ابن يسار، أبو سعيد، وُلد زمن عمر، وشهد الدار وهو ابن أربع عشرة سنة. وهو رأس الطبقة الثالثة، من أعلام مدرسة التفسير بالمدنية، أخرج له الجماعة، ومات في رجب سنة عشر ومائة. وله " التفسير " رواه عنه جماعة.

(5) هو ابن عبد الرحمن، الثقة الفقيه العابد، توفي سنة 63هـ.

(6) هو ابن حزن المخزومي القرشي، أبو محمد، سيّد التابعين " أحد العلماء إثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل "، توفي سنة 94هـ.

(7) هو رفيع بن مهران الرياحي، من كبار التابعين، توفي سنة 90هـ.

(8) هو من بني بكر بن وائل، من أهل البصرة، (من المائة الأولى)، توفي سنة ست وثلاثين ومائة .

(9) هو ابن دِعَامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، أبو الخطاب البصري، الحافظ العلامة. رأس الطبقة الرابعة، مات بواسط في الطاعون، سنة ثماني عشرة ومائة .

والضحاك بن مزاحم [1]، وغيرهم من التابعين وتابعيهم.

وبعد ذكره رحمه اللـه لهؤلاء الأعلام يعلّق بقوله: فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً، فيحكيها أقوالاً وليس كذلك ؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره. ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك ."ص104".

(1) هو الهلالي، أبو القاسم الخرساني، صدوق كثير الإرسال، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة. * انظر ترجمة هؤلاء " رحمهم اللـه"، في كل من " الحافظ شمس الدين الداوودي: طبقات المفسرين، ص 106، ص 132، ص 155، ص 332. وكتاب: أحمد بن محمد الأدنه وي: طبقات المفسرين، ص12، ص14، ص16.

المطلب الثالث / متى تكون أقوال التابعين حجّة في التفسير ؟.

قال رحمه الـلـه: قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون في التفسير ؟ يعني: أنها لا تكون حجّة على غيرهم ممن خالفهم. وهذا صحيح، أمّا إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجّة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك [1] .

يقرر رحمه الـلـه هنا: أنّ أقوال التابعين في الفروع ليست حُجّة، أي لا يلزمنا الالتزام بها، وبالتالي: كذلك الأمر في التفسير ؛ فهي لا تكون حجة على من خالفهم.

أمّا إذا اجتمعوا على رأي معيّن، فإن ذلك يكون حُجّة، ويلزمنا أن لا نتعداه.

ويقرر أيضاً رحمه الـلـه – ما ذكره سابقاً – أنّه عند الاختلاف: يرجع إلى لغة القرآن أو السنة، أو عموم لغة العرب ؛ فالقرآن الكريم معلوم بأنه نزل بلسان عربي مبين، أو أقوال الصحابة الذين شاهدوا الوحي والتنزيل، وهم عرب خُلّص بالسليقة والسجية .

وإلى هذا نبّه الدكتور محمد الذهبي بقوله :–

" والذي تميل إليه النفس: هو أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به، إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ، عند عدم الريبة،

(1) مقدمة في أصول التفسير: ص105.

فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، قلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه، أماّ إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره" [1] .

من خلال هذا المبحث: تبيّن لنا المرتبة الرابعة من مراتب التفسير وهي " تفسير القرآن بأقوال التابعين "، وأبرز أعلامهم، وعرفنا متى تكون أقوالهم حُجّة في التفسير .

(1) د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرين. ج1، ص139. وانظر كتاب د. أحمد حسن فرحات: في علوم القرآن. ص241، ص242.

المبحث الثامن: " تفسير القرآن بالرأي "

المطلب الأول / القول في التفسير بالرأي .

المطلب الثاني / موقف العلماء من التفسير بالرأي .

المطلب الثالث / الصحابة وغيرهم ينهون عن التفسير بغير علم .

المطلب الأول / القول في التفسير بالرأي :-

قال رحمه الـلـه: فأماّ تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، ويذكر عن ابن عباس قال: قال رسول ﷺ:" من قال في القرآن بغير فليتبوأ مقعده من النار "[1].

بعد أن تعرض الإمام ابن تيمية – فيما سبق – لأحسن الطرق في تفسير كتاب الـلـه وهو ما يسمّى بـ" التفسير المأثور "، ذكر هنا في آخر مقدمته :" تفسير القرآن بالرأي " .

واستهّل كلامه بتقرير: تحريم تفسير القرآن " **بمجرد** " الرأي، وقصد من كلمه " مجرد": أي الرأي المحض الذي لا تشهد له سنة أو لغة [2]. ومثل هذا لا شك أنه يراد به الهوى. ويجدر بنا هنا بداية: بيان المقصود بالتفسير بالرأي :

عرفه الدكتور الذهبي " رحمه الـلـه بقوله المراد بالرأي هنا: الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر " [3].

(1) تفسر الطبري: ج1، ص40.

(2) انظر تعليق د. عدنان زرزور في حاشية تحقيقه: ص106،ص 107.

(3) د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرين. ج1، ص265.

ويعرفه أستاذي الدكتور أبو هزيم "حفظه الـلـه بقوله": " التفسير بالرأي: هو بذل الجهد في فهم النصوص الثابتة التي وردت في كتاب الـلـه تعالى التي تحتاج إلى أهلية خاصة من العلم بقوانين الشريعة وقوانين اللغة العربية وبُعد نظر، وعُمق تأمل، وغيرها من الضوابط التي ويستوجها أوضاع البيان " [1].

فهذين التعريفين يبينان: المقصود بالرأي المحمود، وأماّ التفسير بالرأي المذموم: فهو القائم على العقل وحده في فهم كتاب الـلـه، أي " الرأي المحض "، وهذا هو الذي قصده شيخ الإسلام ابن تيمية من كلامه السابق.

وبالتالي: التفسير بالرأي منه " المحمود " القائم على المنهجية السديدة، ومنه عكسه وهو " المذموم " .

(1) د. أحمد فريد أبو هزيم: بحث بعنوان " التفسير بالرأي وموقف العلماء من اتخاذه منهجاً في التفسير ". مجلة " دراسات "، المجلد 21(أ)، العدد (4)، 1994م. ص354، ص355.

المطلب الثاني / موقف العلماء من التفسير بالرأي :-

وقف العلماء من التفسير بالرأي، على رأيين ، فريق تشدّد ومنعه بالكليّة، وفريق أجازوه ولم يروا حرجاً فيه ؛ ما دام المفسر ينتهج في تفسيره المنهجية السديدة.

وقد تسلّح كلا الفريقين بكل ما من شأنه الانتصار لمذهبه وتقوية معتقده...

ولا داعي في هذه العجالة من سرد أدلة المانعين [1]، وأكتفي بذكر جملة ما ذكره المجيزون ممن الأدلة، وهي :-

(1) قوله تعالى ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[2].

وكذلك الآيات العديدة التي تدعو إلى التفكر والتدبر والتأمل، منها قوله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾ [3].

(2) دعاء النبي ﷺ لابن عباس: " اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل "، فلو كان التأويل معلوماً لا مجال للتفاوت فيه لم يكن لهذا الدعاء معنى.

(3) أن القرآن يحوي علوم الأولين والآخرين، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلاّ بالتعمق في الفهم والتفسير.

---

(1) انظر تفصيل هذه المسألة في بحث أستاذي د. أحمد فريد :" التفسير بالرأي "، ص359- ص366.

(2) سورة النساء :[83].

(3) سورة ص: [29].

(4) اختلاف الصحابة في التفسير ؛ فلو كان مأثوراً فقط لما كان فيه مجال للاختلاف [1]، وتصريحهم أحياناً بأن هذا التفسير من آرائهم .

(5) أضف إلى ذلك: الحقيقة التي قررناها سابقاً، وهي أن النبي ﷺ لم يفسرّ القرآن كله، وإنماّ بقدر الحاجة والمقام، وقد فعل ذلك عامداً ؛ ليجعل للعقل مجالاً للتفكر والتدبر والتأمل ضمن الحدود والضوابط.

وبالتالي: لا مانع من تفسير القرآن الكريم بـ" الرأي المحمود " المستند إلى الشرع أو اللغة، والذي لا يتمشّى مع الهوى ؛ فهذا ما دلّ عليه الشرع من النقل والعقل، وأيضاً: هذا الميدان لا يتسنىّ لأي أحد أن يدخل فيه، إلاّ من كان متمكناً في العلوم المتصلة به، وأن يكون ممن فتح الـلـه عليه بقوة النظر وبعده ." و الـلـه الموفق ".

(1) انظر كتاب د. أحمد فرحات: في علوم القرآن. ص261.

المطلب الثالث / الصحابة وغيرهم ينهون عن التفسير بغير علم :-

يذكر شيخ الإسلام " ابن تيمية " في هذا النوع من التفسير: مجموعة من الآثار التي تدل على أن الصحابة وغيرهم ينهون عن التفسير بغير علم، منها:-

- قول أبو بكر الصديق رضي اللـه عنه: " أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيَّ سماء تُظلِّني إذا قلت في كتاب اللـه ما لم أعلم " [1] .
- وأنّ عمر الفارق رضي اللـه عنه: " قرأ على المنبر ﴿**وفاكهةً وأباًّ**﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ ؟ ثم رجع نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر "[2].

ويعلق الإمام ابن تيمية بقوله :-

وهذا كله محمول على أنهما رضي اللـه عنهما إنما أرادا: استكشاف ماهيّة الأب وإلاّ فكونه نبتاً من الأرض ظاهر لا يُجهل ؛ لقوله تعالى: ﴿**فأنبتنا فيها حبًّا * وعنباً وقَضْباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غُلْباً**﴾ [3]

- - وعن ابن أبي مُليكة أن ابن عباس :" سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها " [4].

---

(1) تفسير الطبري: ج1، ص41.

(2) تفسير الطبري: ج30، ص74.

(3) سورة عبس: الآيات [27،30]. وبعدها: (وفاكهة وأباً * متاعاً لكم ولأنعامكم) [31، 32].

(4) تفسير الطبري: ج1، ص44.

وبعد نقل " ابن تيمية " لهذه الآثار الصحيحة وغيرها ممّا شاكلها عن أئمة السلف، يعّلق بقوله أنها: " محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأماّ من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوالاً في التفسير، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عماّ جهلوه. وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنّه كما يجب السكوت عمّا لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه ممّا يعلمه ؛ لقوله تعالى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمُونه**﴾ [1]".

فهذا التعليق الذي ذكره شيخ الإسلام: هو بمثابة الفاصل في هذه المسألة؛ وبذلك يتبيّن لنا دقّة كلمة " بمجرد " التي ذكرها في بداية قوله في هذا الموضوع: " فأماّ تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام "، فهو كما ذُكر سابقاً .

وآخر ما يذكر ه شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته هذه التي بين أيدينا، ما نقله عن ابن جرير في قول ابن عباس[2]: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلّا الـلـه تعالى ذكره ". و الـلـه سبحانه وتعالى أعلم [3] .

قصد " رحمه الـلـه " من هذه المقولة للصحابي الجليل " ابن عباس ": أنّ هناك وجوه لا مجال للرأي فيها، فهناك ما يعرف من الكلام العربي، وهناك ما يعرف من وجوه الحلال والحرام، وهناك ما استأثر الـلـه بعلمه، فهذا لا مجال

(1) سورة آل عمران: [187].

(2) تفسير الطبري: ج1، ص40.

(3) مقدمة في أصول التفسير: ص115.

للرأي فيه ؛ فهو بيّن وواضح، أمّا التفسير الذي يعلمه العلماء ؛ فهو موطن النظر والاستنباط [1] .

مماّ سبق ذكره في هذه المبحث يتبيّن لنا: أن أئمة التفسير قد اعتبروا التفسير بالرأي أصلاً تقوم به الحجة ؛ حيث إن التفسير بالمأثور يتناول القرآن كله مع حاجة الأجيال اللاّحقة إلى معرفة الكثير مما لم تعرض له المأثورات بالكشف والبيان .

وأنّ الدين لم يأت مخالفاً للعقل والأدلة الصحيحة ؛ لذا لا نجد تناقضاً بينهما .

وأنّ ما ورد في ذم التفسير بالرأي لم يكن القصد منه إلاّ أن يبعد عن ساحته من لم يتأهل له حتى لا يجترئ الناس على القول في كتاب اللـه تعالى بلا علم [2] .

وبذلك – تمّ بحمد اللـه – الانتهاء من " مقدمة في أصول التفسير "، لشيخ الإسلام ابن تيمية " عرضاً ودراسة وتحليلاً ".

" و اللـه الموفق "

---

(1) تمّ تناول هذه الأوجه الأربعة في الصفحات السابقة .

(2) ملخص بحث أستاذي د. أحمد فريد " التفسير بالرأي " ص349. وانظر تفاصيل هذا الموضوع في كتاب: محمد حمد زغول: التفسير بالرأي، " قواعده وضوابطه وأعلامه "، يقع في (480 صفحة) .

نهاية المطاف :-

مقدمة ابن تيمية في سطور

عنت هذه المقدمة بوضع الخطوط العريضة وبيان القواعد الأساسية التي تفتح طريق فهم القرآن الكريم تدبراً وتعلماً وتفسيراً وتأويلاً، وتضع بين يدي المفسر أصول الموازنة والترجيح بين الأقوال والآراء (علم قانون الترجيح) القائم على الدليل .

لأهمية هذه القواعد والأصول ينبغي على المفسر الالتزام بها، والتي من خلالها تَسْهُل عملية تفسير آيات الـلـه وتجعل التفسير مُتقَناً بقدر ضبطها واستيعابها، وكلما زاد الضبط والاتقان لهذه القواعد والأصول كلما بَعُد المفسر عن الخطأ والزلل - قدر الإمكان - ؛ وبذلك يكون الانطلاق انطلاقاً مبنياً على أساس سليم ومتين .

فهو منهج علمي رصين مرسوم بدقّة .

ابتدأت هذه المقدمة ببيان صاحبها للسبب الذي دعاه لكتابتها، ثم شرع بفصولها إلى أن انتهى بحديثه عن تفسير القرآن بمجرد العقل .

خاتمة ...

الحمد اللـه الذي بنعمته تتم الصالحات ... أمّا بعد :-

فقد تمّ الانتهاء من دراسة " مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية " .

وقد كانت أوقاتاً سعيدة قضيتها في ظلال هذه المقدمة القيّمة، استفدت منها استفادة كبيرة.

ومن خلال هذه الدراسة تمّ الوصول إلى النتائج الآتية :-

1- أنّ الإمام ابن تيمية أبدع في كتابته لهذه المقدمة، بل هي من أجود ما كُتب في هذا المجال ؛ لأنها وضعت للمفسرين المنهجية السديدة والضوابط التي تضبط تفسيرهم لكتاب اللـه عز وجل، وضمنت القواعد الأساسية لفهم القرآن و التفريق بين الحق والباطل والغث والسمين، وبالتالي: أصابت الهدف والغاية بدقّة .

2- أنّ هذه المقدمة اتسمت بالتركيز والاختصار والبراعة. فالتركيز نجده في أفكارها العميقة، والاختصار نجده في عباراتها، والبراعة في أسلوبها المميّز الذي جمع الأفكار والعبارات في قالب جميل .

3- أنّ الوقوف على كتاب اللـه عز وجل لا يتم إلاّ بتفسيره، وهذا لا يتأتّى إلاّ بعد الفهم والتدبر والتفكر والتأمل لآيات اللـه تعالى، وأنّ يتبع هذا العلم: العمل، وبالتالي: نكون قد استقينا الهدى الذي يهدينا إلى الصراط المستقيم والطريق القويم .

4- أنّ ما ذهب إليه " رحمه الـلـه " في القول: بأنّ النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بينّ لهم ألفاظه، وبعد مناقشة الأدلة التي ساقها في ذلك، تبيّن لنا عدم صحة هذا القول، وأن الرأي السديد: هو أنّ النبي صلي الـلـه عليه وسلم فسّر ما اقتضاه الأمر والبيان، وعلى قدر الحاجة، وليس كل القرآن، وقد فعل ذلك النبي ﷺ عامداً ؛ ليبقى القرآن الكريم مرناً صالحاً لكل زمان ومكان، وليبقى مجالاً رحباً في استعمال العقل وتوظيفه وإعماله ضمن الحدود المتاحة له .

5- أنّ خلاف السلف " رحمهم الـلـه " في التفسير قليل، وكان أكثره في الأحكام، وأنّ غالبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

6- أنهّ لا بد على المفسر أن يدرك سبب النزول الذي نزلت من أجله الآية أو الآيات القرآنية ؛ فإن سبب النزول يُعِيْنُ على فهم الآية القرآنية .

7- أنّ الاختلاف في التفسير: منه ما يقع من جهة النقل، ومنه ما يقع من جهة الاستدلال، ومن المفسرين من يخطأ في الدليل والمدلول، ومنهم من يخطأ في الدليل لا في المدلول .

8- أنّ أحسن طرق التفسير: هو " تفسير بالقرآن " فهو أعلى مراتب التفسير ؛ لأنه تفسير صاحب الكلام لكلامه. وإذا لم نجد في القرآن: فالسنة ؛ لأنها شارحة وموضحة للقرآن، وأنه لولاها لما استطعنا فهم كتاب الـلـه تعالى .

وإذا لم نجد التفسير في السنة: فعلينا الرجوع حينئذ إلى أقوال الصحابة ؛ لأنهم أدرى بذلك لمعاصرتهم الوحي والتنزيل، وصحبتهم لرسول الـلـه ﷺ .

9- أنّه إذا لم نجد التفسير من القرآن ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة: فإنّه يُرجع إلى ما أجمع عليه التابعين من أقوال لا مجال للرأي فيها؛ لأنهم

أخذوا كثيراً من التفسير عن الصحابة، ولكونهم من أصحاب القرون المفضلة .

10- أنّ أئمة التفسير اعتبروا التفسير بالرأي المحمود أصلاً تقوم به الحُجّة، وأنّ ما ورد في ذمّ التفسير بالرأي لم يكن القصد منه إلاّ أن يُبْعِدَ عن ميدان التفسير من هو ليس بأهل للاجتهاد ومن يتجرئ في قوله بلا علم ؛ ولذلك ذهب الإمام ابن تيمية إلى أن تفسير القرآن بمجرد الرأي محرم، أي " الرأي المحض " المستند على العقل، دون النظر إلى النقل وما يُعين على التفسير ؛ لأن هذا من شأنه أن يوقع في هوى النفس والشيطان .

هذا آخر ما يسّر الـلـه كتابته

وصلى الـلـه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد الـلـه ربّ العالمين

كتبـــه

سامي " محمد هشام" حريز

قائمة المراجع :-

(1) ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم: مقدمة في أصول التفسير. تحقيق: د. عدنان زرزور. دار القرآن الكريم: الكويت. ط1، 1391 هـ - 1971م.

(2) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم: تفسير آيات أُشْكِلت على كثير من العلماء: دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة. مكتبة الرشد: الرياض: ط1، 1417هـ.

(3) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي الحنبلي. طباعة: الرياض. 1382هـ 1961م.

(4) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم تحقيق: حامد الفقي. مصر: ط1، 1369هـ.

(5) ابن كثير: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بم محمد السلامة. دار طيبة للنشر: السعودية (الرياض) . ط1، 1420هـ 1999م.

(6) ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية في التاريخ. مكتبة المعارف: بيروت ط4، 1982م.

(7) أبو زهرة: الشيخ محمد: ابن تيمية " حياته وعصره، آراؤه وفقهه ". دار الفكر العربي: ط2، 1958م.

(8) أبو زيد: بكر بن عبد الـلـه: المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال. تمويل: مؤسسة الراجحي المصرفية: دار عالم الفوائد: مكة المكرمة. ط1، 1422 هـ .

(9) أبو سريع: د. محمد عبد الهادي: اختلاف الصحابة " أسبابه وآثاره في الفقه الإسلامي ". مكتبة مدبولي: القاهرة. ط1، 1991م.

(10) أبو السعود: د. عبد الـلـه بدر: تفسير الصحابة. دار ابن حزم: بيروت. ط 1، 1421هـ 2000م.

(11) أبو هزيم: د. أحمد فريد صالح عبد الـلـه: بحث " التفسير بالرأي وموقف العلماء من اتخاذه منهجاً في التفسير ". مجلّه " دراسات " المجلد 21 (أ) ، العدد 4، 1994م.

(12) أبو هزيم: د. أحمد فريد: بحث " الالتزام المنهجي في تفسير ابن عباس. " مجلة " دراسات "، علوم الشريعة والقانون، المجلد 24، العدد 2، 1997م.

(13) أبو هزيم: د. أحمد فريد: بحث " تفسير الصوفية وموقف العلماء من اتخاذه منهجاً في التفسير ". مجلة " دراسات "، علوم الشريعة والقانون، المجلد 27، العدد 2، 2000م.

(14) أبو هزيم: د. أحمد فريد: بحث" مأثور الصحابة وقيمته في التفسير ". كلية الشريعة / الجامعة الأردنية .

(15) الأدنه وي: أحمد بن محمد: طبقات المفسرين. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي: مؤسسة الرسالة، مكتبة العلوم: المدينة المنورة. ط1، 1417هـ - 1997م.

(16) بركة: إبراهيم خليل: ابن تيمية وجهوده في التفسير. المكتب الإسلامي: بيروت. ط1، 1405هـ - 1984م.

(17) البزاّر: الحافظ عمر بن علي: الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية. تحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي: بيروت. ط3، 1974.

(18) البيطار: الشيخ محمد بهجت: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية " محاضرات ومقالات ودراسات ". المكتب الإسلامي: بيروت. ط2، 1972م.

(19) الداوودي: الحافظ شمس الدين: طبقات المفسرين. تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة: القاهرة " عابدين ". ط1، 1972م.

(20) الدمشقي: الحافظ ناصر الدين: الرد الوافر على من زعم بأنّ من سمىّ ابن تيمية شيخ الإسلام كافر. تحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي: بيروت. ط1، 1981م.

(21) الذهبي: د. محمد حسين: التفسير والمفسرين. دار اليوسف: بيروت. ط1، 1421هـ - 2000م.

(22) الذهبي: د. محمد حسين: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم " دوافعها ودفعها ". دار الاعتصام: القاهرة. ط1، 1978م.

(23) الرازي: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح ." طبعة مدققة " إخراج: دائرة المعاجم. مكتبة لبنان: بيروت. 1988م.

(24) الزركشي: الإمام برهان الدين: البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. دار إحياء الكتب العربية: بيروت. 1376 هـ.
(25) الزركلي: خير الدين: الأعلام. دار العلم للملايين: ط9، 1990م.
(26) زعول: محمد حمد: التفسير بالرأي " قواعده وضوابطه وأعلامه ". مكتبته الفارابي: دمشق. ط1، 1999م.
(27) الزمخشري: الإمام أبو القاسم محمود بن عمر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق وتعليق: عادل أحمد وعلي محمد. مكتبة العبيكان: الرياض. ط1، 1418هـ - 1998م.
(28) السبت: خالد بن عثمان: قواعد التفسير " جمعاً ودراسة ". دار ابن عفّان: السعودية " الخبر ". ط1، 1417هـ - 1997م.
(29) السيوطي: الإمام جلال الدين: الاتقان في علوم القرآن. تحقيق: عصام فارس الحرستاني. دار الجيل: بيروت. ط1، 1419هـ س 1998م.
(30) الشنقيطي: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد. 1983م.
(31) الطبري: الإمام أبي جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ضبط وتعليق: محمود شاكر. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط1، 1421هـ - 2001م.
(32) عباّس: أ.د. فضل حسن: إتقان البرهان في علوم القرآن. دار الفرقان: عمان. ط1، 1997م.

(33) عبد الحميد: د. محمد: تطور تفسير القرآن " قراءة جديدة ". وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد " بيت الحكمة "، 1989م.

(34) عبد الحميد: د. محمد: دراسات في أصول تفسير القرآن. مطبعة الوطن العربي: بغداد. ط 1، 1400هـ - 1980م.

(35) عبد الرحيم: د. محمد: تفسير الصحابة "مميزاته، خصائصة، مصادره، قيمته العلمية ". مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة. 1991م.

(36) فرحات: أ. د. أحمد حسن: في علوم القرآن " عرض ونقد وتحقيق ". دار عمّار: عمّان. ط1، 1421هـ - 2001م.

(37) ندوة: بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة. المنعقدة في 1و1408/4/2هـ في الجامعة السلفية ببنارس " الهند". إشراف: د. مقتدى الأزهري. إعداد وترتيب: د. عبد الرحمن الفريوائي. دار الصميعي: الرياض. ط2، 1418هـ - 1997م.

قائمة المحتويات

تمّ بحمد اللـه تعالى





- من مواليد الخليل، بتاريخ ١٢/١/١٩٨٠ م.
- حصل على شهادة الثانوية العامة من مدارس تحفيظ القرآن الكريم/ السعودية، عام ١٩٩٧ م.
- حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة البلقاء التطبيقية/كلية الدعوة وأصول الدين/عمان، عام ٢٠٠١ م.
- حصل على درجة الماجستير من الجامعة الأردنية/ كلية الدراسات العليا، تخصص: أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن، عام ٢٠٠٤ م.
- لديه خبرة في مجالات التحرير والتدقيق اللغوي، والتأليف وكتابة البحث العلمي، وله العديد من البحوث العلمية في كثير من المجالات، والمقالات في الصحف والمجلاّت.
- يعمل حالياً معلّماً في وزارة التربية والتعليم، ويُحضّر للدكتوراة في علم التفسير لنيل درجتها -بإذن الله تعالى-.

كتب للمؤلف:

١- نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم - نظرياً وعملياً -.

٢- ابن تيمية مفسراً ومقدمته في أصول التفسير - عرض ودراسة -.

٣- فضل العلم وآداب المتعلّم مع المعلّم.

٤- المهارة والإبداع في إدارة العمل - علمياً وعملياً -.

٥- المهارة في مواجهة التحديات.

٦- تأديب الطفل من المنظور الإسلامي والتربوي (بالإشتراك مع أنجاد حريز)

٧- مدخل إلى الإدارة العامة بين النظرية والتطبيق (بالإشتراك مع زيد عبوي).

٨- فن إدارة الوقت والإجتماعات (بالإشتراك مع سليم جلدة)



دار البداية ناشرون وموزعون

عمّان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

هاتف: ٤٦٤٠٦٧٩ - تلفاكس: ٤٦٤٠٥٩٧

ص.ب ٥١٠٣٣٦ عمان ١١١٥١ الأردن